حوار التوحيد مع عميد كلية اللغة العربية مبعوث رابطة العالم الإسلامي بالهند

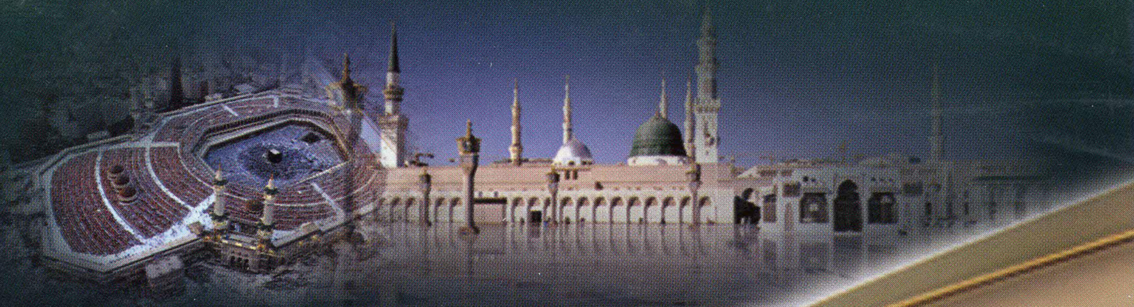
مسابقة السنة النبوية

التوحيد

حتى لا تغرق السفينـــة !!

إسلامية - ثقافية - شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العـدد ٤٧٥ - السنة الأربعون - رجب ١٤٣٢هـ - الثمن ٢ جنيه

مقاصد الحكم الإسلامي وأثره على الفرد والمجتمع



الفتنة المقنّعة



يا دعـاة الأُمـة: الزموا السُّنـة على منهاج النبـوة

Upload by: altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر الجنيدي

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الأربعون

العدد ٤٧٥ رجب ١٤٣٢هـ

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١. في الداخل ٣٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢. في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

"السلام عليكم"

حتى لا تغرق السفينة

مع ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من العلم والحلم، والعمل والأدب؛ إلا أنهم أحسوا بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن العرب يوشك أن يميلوا عليهم، خاصة مع ارتداد بعض أصحاب النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة.

فلما وُفِّق المسلمون في اختيار الخليفة أبي بكر، قال عروة: أمِنَ الناس ، أي شعروا بالأمان وصلاح البال.

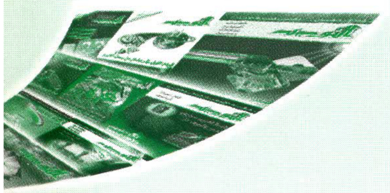
وفي وجود الفارق الشديد بين ذلك الجيل الفذ الفريد، والجيل الذي نعيشه الآن، فإننا نشعر في مصر مع غياب الحاكم الحازم العادل - بالتوتر والانقباض ، وأن السفينة تتجاذبها الأمواج المتلاطمة من كل الاتجاهات ..

لم يبق لنا فيما عهدناه في مثل هذه الحال إلا كما قال خالقنا: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ [العنكبوت:٦٥]، يعني: تمت النجاة بإخلاصهم في الدعاء .

وإذا جهل كثير من عامة الناس توجيه هذه المناجاة لربهم؛ فالأَوْلى بأهل العلم والدعاة أن يرى الله منهم خيرًا في الاعتصام بحبله، والتآلف من أجله، ولا يرى منهم شرًا بالتدابر، والشدة في النكير على المخالف ، وإساءة الظن والتنازع، فيقع الفشل وتذهب الريح، وتغرق السفينة.

فاتقوا الله في مصركم، واتقوا الله في أُمتكم، فنحن في أَمَسِّ الحاجة إلى مراجعة النفس وإِمْسَاكٍ بالشراع قبل أن تغرق السفينة.

التحرير



مجلة التوحيد
لا يستغني عنها مسلم

المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

Upload by: altawhedmag.com

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد



لا تخلوا منها مكتبة
ويحتاج إليها كل بيت

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد إبراهيم صوابي

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM



الآن بالمركز العام

المجلد الجديد لعام ١٤٣١

بشرى سارة

تعلن إدارة مجلة التوحيد للإخوة الكرام قراء المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء. لذا نعلن عن استقبال أسئلة القراء عن الفتاوى وكل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى بالجماعة ونشرها بالمجلة حتى تعم الفائدة على البريد الإلكتروني التالي:

Q.TAWHEED@YAHOO.COM

نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٩ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٣٩ سنة كاملة ٧٢٥ جنيهاً للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية. قليوب. مصر

Upload by: altawhedmag.com

افتتاحية العدد

يا دعاة الأمة الزموا السنة على منهاج النبوة

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعدُ:

فالدعوة إلى الله تعالى طريق الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم ربهم مبشرين ومنذرين، ليعرِّفوا الخلق بالله، ويأمروهم بعبادته وحده دون سواه، وقد أمر الله بالدعوة إليه سبحانه في مواطن كثيرة من كتابه، قال تعالى: قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ [يوسف:١٠٨]، وقال سبحانه: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ [فصلت:٣٣].

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بنضارة وجه من سمع حديثه ونقله إلى غيره، كما في حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع». [الترمذي ٢٦٥٧ وصححه الألباني].

وقد دل الحديث على فضل من تشرف بسماع الحديث وحمله إلى غيره ودعا الناس إليه، ولهذا كان الدعاة إلى الله تبارك وتعالى من أرفع الناس قدرًا وأعظمهم أجرًا، لقيامهم بمهمة الأنبياء والمرسلين، وإرشاد الخلق إلى الحق، ومواجهة ألوان الفساد في المجتمعات وإصلاحها، وتعليم الناس ما جهلوا، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم، وهذه المهمة ليست مسألة اجتهادية، وإنما توقيفية ربانية، وقد أشارت الآيات الآمرة بالدعوة إلى ذلك، منها قوله تعالى: فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ [الشورى:١٥]، غير أن بعض الدعاة خالف في منهجه ومسلكه منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى دين رب العالمين، ودبَّ الخلاف بين المسلمين، وتفرقت الأمة إلى مناهج مختلفة، وعقائد متباينة، وفِرَق متناحرة، وقد كانت الأمة في أول عهدها بعيدة عن ذلك.

يقول الشاطبي - رحمه الله -: «ثم استمر تزيُّدُ الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعد موته وأكثر قرن الصحابة - رضي الله عنهم - إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة، وأصغوا إلى البدع المضلة كبدعة القدر وبدعة الخوارج، وهي التي نبَّه عليها الحديث بقوله: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم» [متفق عليه]، يعني لا يتفقهون فيه، بل يأخذونه على الظاهر...

وكل صاحب مخالفة فمن شأنه أن يدعو غيره إليها، ويحض سواه عليها، إذ التأسي في الأفعال والمذاهب موضوع طلبه في الجبلة، وبسببه تقع في المخالف المخالفة، وتحصل من الموافق المؤالفة، ومنه تنشأ العداوة والبغضاء للمختلفين. [الاعتصام للشاطبي ج١/١٧].

وهذا كلام نفيس من هذا الإمام العالم - رحمه الله -، وقد بيّن فيه منشأ الداء الذي وقع بالأمة، وأن كل فريق يسعى إلى جذب غيره إلى كلامه، وموافقته فيما هو عليه، والواجب على دعاة الأمة وحملة

Upload by: altawhedmag.com

الرسالة أن يتصدوا للأهواء المضلة، ويجمعوا كلمتهم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأقوال الأئمة المعتبرين كالإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أبي حنيفة، والإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وابن خزيمة، وابن منده، والبربهاري، وابن تيمية وغيرهم من علماء السنة - رحمهم الله تعالى - وليعلم جميع الدعاة أن جمع الكلمة لا بد أن يكون على كلمة التوحيد، فهي أساس الملة وقاعدة انطلاق الدعوة، وإفراد الله تعالى بالتوحيد وعبادته وحده دون سواه هو الغاية من خلق الخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

يقول الدكتور صالح السحيمي مبينًا أهمية جانب الاعتقاد في وحدة المجتمع المسلم: «هو العامل الأول، والركيزة الأساسية التي ينبني عليها كيان المجتمع الإسلامي، وتنضوي تحت لوائها صفوف المسلمين، منها يستلهمون طريق وحدتهم، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلا، وبهداها ومبادئها القيمة يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا الأقطار». [منهج السلف في العقيدة: ص٤].

ويؤكد الدكتور مصطفى حلمي على أن الإسلام الصحيح القائم على الوحي هو أساس وحدة جماعة المسلمين وسبب نهوضهم، فيقول: «وإن كان المسلمون يتلمسون اليوم طريقًا للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي». [قواعد المنهج السلفي: ١٣].

إن كان المسلمون يتلمسون اليوم طريقًا للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي

وقد اجتمع سلفنا الصالح بسبب اتفاقهم على أمور العقيدة مع تباعد ديارهم واختلاف أزمنتهم، وقد أشار إلى ذلك الإمام إسماعيل الأصبهاني - رحمه الله - فقال: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!!!». [الحجة في بيان المحجة: ٢/٢٢٤].

ولهذا وجب على دعاة الأمة الرجوع إلى الكتاب والسنة والالتفاف حول جماعة المسلمين المتمسكين بالحديث والأثر، فهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا مكانة أهل الحديث المعتصمين بالكتاب والسنة: «وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها، واتباعًا لها: تصديقًا وعملاً وحبًا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها». [مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٧].

ولا طريق إلى الدين القويم، والصراط المستقيم إلا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلى أن انتهوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخذوا منه مباشرة، ولذلك أسلموا في الاعتقاد والعمل بعد سلوكهم طريق النجاة.

قال الإمام مالك رحمه الله: «السُّنَّة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

وكان الإمام الزهري رحمه الله يقول: «كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة»، ولذا صار ذهاب أهل السنة هو ذهاب أهل الإسلام، كما قال الأوزاعي - رحمه الله - في بيان معنى حديث الغربة. [انظر «كشف الكربة» لابن رجب

Upload by: altawhedmag.com

(ص١٠)].

ولذا كان التزام السنة والوقوف عندها هو المتعين على أهل الإسلام، وتشتد الحاجة إلى ذلك أكثر عند وقوع البدع والفتن، وقد تنبَّه لهذا أئمتنا - رحمهم الله - فهذا الإمام مالك - رحمه الله - يذكر حديث الاعتصام بالكتاب والسنة في باب النهي عن القدر، والإمام البخاري - رحمه الله - ذكر في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ما نصه: «قال عبد الله: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وإن ما تُوعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين». [البخاري ٧٢٧٧].

قال ابن حجر معلقًا على هذا الحديث: «وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر شيء من الأهواء - يعني بدع الخوارج والروافض والقدرية -، وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرهًا، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتَّبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف». [فتح الباري: ١٣/٢٥٣].

وهذا هو الموقف الصحيح الذي يجب أن يسلكه المسلم تجاه نصوص الكتاب والسنة، ويتعين ذلك على الدعاة بصورة خاصة، وعلى الجميع ألا يخترع ألقابًا أو يرفع رايات سوى راية الإسلام والسنة، وقد اختار الله لنا اسم الإسلام ورضيه لنا دينًا، فلا نحيد عنه، ولا نسمي أنفسنا باسم سواه، قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]، وإبراهيم عليه السلام كان قد دعا ربه وسأله أن يجعل من ذريته أمة مسلمة، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨]، وقد استجاب الله دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وجعل في ذريته أمة الإسلام، وبعث فيها النبي الخاتم المختار صلى الله عليه وسلم، وعليه فلا يجوز للمسلم أن يلقب نفسه باسم سواه.

قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام، ولا رسم سوى القرآن والسنة، وهذا أصل الملة الحنيفية، التي دعا إليها شيخ الأنبياء أبونا إبراهيم عليه السلام، ومَن بعده من أنبياء الله ورسله إلى خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦١]، وقد نعى الله على من رغب عن هذا الشعار، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠]، وقد قال ابن القيم عند شرحه لقول «الهروي» - رحمه الله -: «ولم يُنسبُوا إلى اسم» أي: لم يشتهروا باسم يُعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلامًا لأهل الطريق، وأيضا، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد، يجري عليه اسمه، فيُعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام، ولا رسم سوى القرآن والسنة، وهذا أصل الملة الحنيفية، التي دعا إليها شيخ الأنبياء أبونا إبراهيم عليه السلام، ومَن بعده من أنبياء الله ورسله إلى خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

Upload by: altawhedmag.com

مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سُئل عن شيخه؟ قال: الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن طريقه؟ قال: الاتباع، وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى، وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: «يريدون وجهه»، وعن رباطه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور:٣٦]، وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

[مدارج السالكين (١٨٢/٣)].

وإذا أراد الدعاة اليوم أن يصلحوا ما اعوج، وأن يساهموا في نهضة الأمة واستقامتها، فلا بد من السير على منهاج النبوة، واتباع الكتاب والسنة، في الشكل والمضمون، والمادة والصورة؛ إذ حقيقة الإصلاح: إرجاع الشرع إلى حالة اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد، وما علق به من شائبة الهوى والاختلاف، وهذا لا يكون إلا بالسير على منهاج النبوة لا غيرُ، وقد أدرك ذلك مؤسسو وعلماء أنصار السنة المحمدية، فدعوا إلى الكتاب والسنة، ولم يعظموا أحدًا من المشايخ، أو يعتقدوا في واحد منهم العصمة، ولهذا نجدهم في كل مكان وزمان يدعون إلى صفاء الاعتقاد، ونشر راية السنة وتعظيمها، والحكم بما أنزل الله، وتحطيم مظاهر الشرك والوثنية والأهواء والبدع، ومناصحة الولاة، وتصحيح مسار الناس إلى ربهم في عباداتهم ومعاملاتهم وأقوالهم تحت سلطان الكتاب والسنة، ونحن ندين الله - عز وجل - بأن الإسلام دين كامل لا يتجزأ، وأن أحكامه بعضها مترابط ببعض، فالزيادة فيه طعن في كماله وتمامه، والنقص منه جحد لأحكامه، وعليه فلا يجوز لمسلم أن يتنازل عن شيء منه، أو يغيّر شيئًا من أحكامه، وقد نعى الله على من آمن ببعض الكتاب وكفر بالبعض الآخر، فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، وإني أنصح الدعاة إلى الله عز وجل أن يبذلوا جهدهم في حراسة الدين والدفاع عنه أمام التيارات المنحرفة، والفِرَق الهدامة، والدعوات المسمومة، وعليهم أن يصلحوا مواطن الخلل في الأمة ويسدوا الثغرات التي يدخل منها أهل الباطل لحرب العقيدة والسنة، وتغيير مسار الدعوة كما يحب أهل التغريب والعلمنة، وعلى الفرق والأحزاب والهيئات والمؤسسات والجماعات أن تعرف أخطاءها، وأن تتجرد من شبهاتها، وأن ينضوي الجميع تحت راية الكتاب والسنة إخوة متحابين متناصحين متعاونين لله وفي الله، وهكذا يكون المسلم.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه -: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم». (مسلم ٢٨١٢).

والمعنى: أن الشيطان يسعى في التحريش بين المسلمين بالخصومات والشحناء والبغضاء والفتن، وعلى جميع المسلمين ضبط النفس في الأقوال والأفعال، والرفق واللين مع الصبر واليقين، والاحتساب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد صارت بهما الأمة خير أمة كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

ورحم الله رجلاً عرف الحق فآثره على الهوى وحظ النفس، وقدمه على الآراء والمشايخ، وكل إنسان مرهون بعمله وقوله، والله يتولى السرائر، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

إذا أراد الدعاة اليوم أن يصلحوا ما اعوج، وأن يساهموا في نهضة الأمة واستقامتها، فلا بد من السير على منهاج النبوة، واتباع الكتاب والسنة، في الشكل والمضمون، والمادة والصورة



Upload by: altawhedmag.com

حوار التوحيد مع عميد كلية اللغة العربية مبعوث رابطة العالم الإسلامي بالهند

أجرى الحوار
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

شارك في الحوار
سامح أحمد أبو الروس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وبعدُ:

فقد وصل الإسلام إلى بلاد الهند منذ سنوات الإسلام الأولى عبر مدخل كيرالا في جنوب غرب الهند، التي كانت مقصدًا للتجار العرب قبل الإسلام، والهند مثلها مثل إسبانيا تحتفظ بتراث إسلامي لغوي وسياسي وسياحي، يمثل جزءًا من هويتها الثقافية على المستوى العالمي، فلم يأت المسلمون إلى الهند ليعيشوا على أطراف البلاد، أو ليعبروا مع العابرين، ففي القرن العاشر الميلادي تمكن محمود غزنوي من الانطلاق من أفغانستان ليضم إقليم البنجاب لدولته الكبرى، وكانت فتوحاته المهيبة في غرب الهند تمهيدًا لسيطرة الحكم الإسلامي في القرن الثاني عشر الميلادي، وخلال ستة قرون تلت ذلك التاريخ، خضعت فيها الهند لحكم إسلامي في معظم فترات تلك الحقبة من نهاية القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر، وتشكلت صورة الهند عالميًا عبر حكامها المسلمين من الغوريين والخليجيين والمغول الذين لم يتركوا الساحة للاحتلال البريطاني إلا في منتصف القرن التاسع عشر.

وقامت في الهند حكومات إسلامية استمر حكمها أكثر من عشرة قرون، أسس المسلمون خلالها أرقى الحضارات الإنسانية في شبه القارة الهندية.

وفي كتابه «اكتشاف الهند» يعكس جواهر لال نهر الموقف الهندي المعتدل من الحكام المسلمين حين يقول: «وفي التاريخ الهندي أبطالٌ سعوا إلى توحيد الهند وحمايتها، وفي مقدمتهم «أشوكا، كبير، وجوروناتاك، والأمير خسرو، وجلال الدين أكبر، وغاندي، وجلال الدين أكبر مثله مثل غاندي لدى نهرو، فكلاهما بطل قومي: أحدهما مسلم، والآخر هندوسي.

ونقدم في هذا الحوار الكثير عن أحوال أكبر تعداد للمسلمين في العالم بعد إندونيسيا من خلال حوار التوحيد مع ضيفنا الكريم..

Upload by: altawhedmag.com

المسلمون في الهند فقراء جدًا!!

التوحيد: نريد تعريف قراء مجلة التوحيد بالمسلمين وحياتهم في الهند وظروفهم المعيشية؟

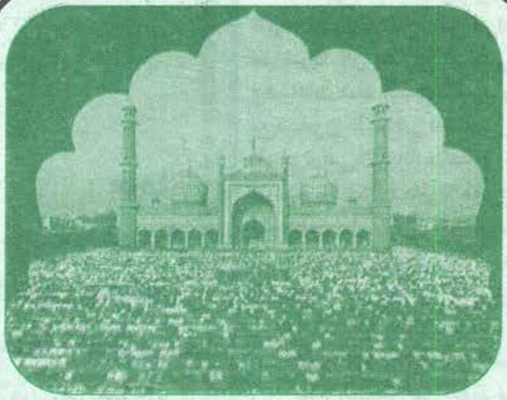
أحوال المسلمين في الهند تختلف من مكان إلى مكان، ولا يمكن أن نقول: المسلمون في الهند هكذا على إطلاقها؛ لأن البيئة تختلف وكذا مستوى الحياة ومستوى التعليم؛ فمنطقتنا في جنوب الهند «كيرالا» هي أكثر الولايات التي ينتشر فيها التعليم، وقد أعلنت الحكومة فيها محو الأمية مائة في المائة قبل خمس عشرة سنة، وطلابنا من المسلمين أيضًا كلهم يدرسون في المدارس العامة الحكومية، وقبل ذلك يدرسون العلوم الدينية، ثم تكون لهم شهادات مؤهلة للعمل، وأما الحال في بعض الأماكن الأقل مثل بيهار وبنجال شمال شرق الهند، فالمسلمون هناك فقراء جدًا وضعفاء جدًا، وكذلك هم أقل في الناحية التعليمية، والآن بدأنا في تمديد نشاطنا إليهم، فأنشأنا هناك بعض المساجد والمدارس، لكن - بفضل الله - نرى البشائر في عمل الدعوة الإسلامية.

الجماعات المختلفة في الهند

التوحيد: ما هي الأساليب المتبعة في الحوار مع الجماعات المختلفة في الهند، وما ثمرات هذا الحوار؟

بعد ما جاءت الدعوة السلفية إلى الهند تقريبًا منذ ما يقرب من مائة سنة كان العلماء أولا يقومون بأعباء الدعوة بصورة شخصية، لم تكن هناك جماعة أو جمعية، ولم يكن هناك عمل جماعي، بل كان لكل عالم كبير مسجد أو مقر، ومن هنا يجتمع حوله الناس، وهكذا تحول كثيرٌ من أهل البدع البريلوية[1]، وغيرهم إلى التوحيد، ثم بعدما وُجد عمل جماعي تحسن العمل كثيرًا عن طريق مجالات واجتماعات ومؤتمرات حاشدة وحوار، وأيضًا كان للعلماء في السعودية وغيرها وللمجامع الإسلامية دور كبير في تعليم أبنائنا وتربيتهم على المنهج السلفي، والآن هناك آلاف من المساجد في عموم الهند لأهل التوحيد، ففي ولايتنا فقط هناك ألف مؤسسة دينية تنتمي إلى مركز الدعوة الإسلامية التابع لنا، وأكثر من ثلاثمائة مسجد جامع، وفي هذه المساجد عدد من المدارس الدينية صباحية وعدد من دور الأيتام، وكذلك مقر لإسعاف المرضى وإعانتهم وقسم

[1] هم الصوفية المتشددة في عبادة القبور، نسبة إلى مؤسسها في الهند أحمد البريلوي، وهو اسم المنطقة كذلك، وهم في الحقيقة قبوريون.



بطاقة تعريف

الاسم: حسين أبو بكر مدوور، ومدوور هو اسم قريتي،

الدراسة: بعدما أكملت دراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية في مرحلة البكالوريوس ذهبت إلى جامعة أم القرى، وحصلت على بكالوريوس في الدعوة والثقافة الإسلامية، ورجعت إلى الهند.

وأكملت الماجستير في جامعة عليكره في شمال الهند، وحصلت على الماجستير في اللغة العربية.

ثم أخذت الدكتوراه في اللغة العربية في موضوع «علماء الهند في الحرمين الشريفين حياتهم وآثارهم».

العمل: أعمل أستاذًا في كلية اللغة العربية في جامعة حكومية اسمها روضة العلوم في «كلكت»، وصرت عميدًا لها منذ ثلاث عشرة سنة وبقي لي سنة على التقاعد ولي زوجة واحدة وخمسة أولاد ذكور، ثلاثة منهم تزوجوا، ولي حفيدتان.

Upload by: altawhedmag.com

للتبرع أيضًا موجود، أيضًا علاقتنا مع الحكومة طيبة؛ لأن المسلمين في الهند أقلية تحتاج إلى مراعاة حسن التعايش وعدم التدخل في شئون الحكومة مباشرة؛ لأن هذا يؤثر على المسلمين بالسلب، فبعض الشباب قاموا بمظاهرات وهتافات ضد الحكومة ويقولون: هذه حكومة كافرة، وهذا أضر بالدعوة، وكذلك يوضعون كلهم في السجون، فالمسلمون فقراء وعددهم قليل؛ ولذلك نحن نعمل في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فقط، وهذا دورنا دون تدخل في شئون السياسة، لكن نحن لا نمنع أن يصوّت المسلم في الانتخابات البرلمانية ولا نمنع المسلمين من دخول الوزارات والبرلمان.

وهذا منهجنا، يقول علماؤنا: «نحن الآن في هذا البلد نسير على قاعدة ارتكاب أخف الضررين، ومراعاة الأولويات وفقه الأقليات».

تعداد المسلمين في الهند وعدد المساجد بها

التوحيد: ما تعداد المسلمين في الهند وعدد المساجد بها؟

عدد السكان في الهند يبلغ مليار ومليوني نسمة، يعني قريبًا من عدد السكان في الصين، وعدد المسلمين منهم، مع أنه لا توجد إحصائية دقيقة لهم، إلا أن هناك من يقدرهم بمائتي مليون، وهي تعتبر أكثر دولة بها مسلمون بعد إندونيسيا، والعدد يزداد كثيرًا بفضل الله، ومن المسلمين من له مناصب مرموقة في الحكومة والشرطة والإدارة، والوضع الآن أحسن من قبل، وأيضًا المدارس في ازدياد، وكذا المساجد، فهناك عشرات الآلاف من المساجد، لكن مع الأسف أيضًا يوجد الكثير من المقابر والأضرحة فيها أيضًا.

التوحيد: من المعروف أن كثيرًا من المساجد في الهند يتحول إلى أشياء أخرى في ظروف معينة مثل المسجد البابري وما قام به الهندوس من هدمه، فما هو دوركم تجاه هذه القضية المؤلمة للمسلمين؟

كان ذلك من قديم، والمسجد البابري عليه نزاع منذ خمسين سنة وأكثر، فعند تقسيم الهند ذهب كثير من زعماء المسلمين وهاجروا إلى باكستان، وتركوا ممتلكاتهم، وتركوا دور عبادتهم هناك، ولم يكن هناك أحدٌ يهتم بممتلكات المسلمين فتحولت كلها تلقائيًا إلى معابد أو متاجر، وهكذا في دلهي وما حولها، ولا سبيل إلى رجوعها، وأما المسجد البابري وبعض المساجد فعليها نزاع في ملكيتها منذ ما يقرب من ستين عامًا، وهو أصلاً قبل الهدم بخمسين سنة كان مغلقًا من أيام نهرو، ولأسباب سياسية، فالأحزاب الهندوسية المتطرفة تسعى وراء هذه الأشياء، وزادوا عن طريق تحميس الهندوس في قضية المسجد البابري وغيره من القضايا الطائفية التي استغلوها للوصول إلى أغراض سياسية، والآن أصبحوا الحزب الثاني في البلاد وحزب المعارضة الأول.

الجماعات في الهند منتشرة والشيعة موجودون في بعض الأماكن

التوحيد: طبيعة المسلمين في الهند من حيث تقسيمهم إلى سنة وشيعة وصوفية وغيرها؟

الشيعة موجودون في بعض الأماكن في دلهي وبومباي هناك شيعة، أما في ولايتنا فلا يوجد شيعة، إلا القليل من البهرة، وليس لهم إلا أقل من عشرة مساجد في الولاية كلها، أما البقية فهم إما البريلوية أصحاب الأضرحة والقبور والموالد، وثانيًا أهل التوحيد والسنة السلفيون، وثالثًا من الجماعة الإسلامية التابعة للشيخ أبي الأعلى المودودي، ورابعًا أهل التبليغ والدعوة وهم لا يهتمون إلا بتنمية المشاعر الروحية والخروج، وهكذا، وهم أقل ضررًا من الصوفية، وفيهم من لديه عقيدة التوحيد الصحيح.

أهل البدع يُدلسون على الناس لنشر منهجهم!!

التوحيد: هل يوجد إحصائية تقريبية لأهل السنة والجماعة؟

للأسف، أهل البدع أكثر، وهم يلبسون على الناس ويدلسون لنشر منهجهم

مجلة التوحيد تصل إلينا في جامعة «روضة العلوم» ويستفيد منها قرابة عشرة آلاف طالب يدرسون في الجامعة.

الدعوة السلفية جاءت إلى الهند منذ ما يقرب من مائة عام، وأصبح لها عشرات الآلاف من المساجد في عموم الهند. تنشر دعوة التوحيد، مع وجود المساجد التي بها قبور.

Upload by: altawhedmag.com

على بطلانه باستخدام متشابهات القرآن، مثلاً بناء المساجد على القبور، ويقولون: الله تعالى قال: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، وفيهم دروشة يعني بعض الأولياء عندهم لا يصلون ولا يصومون ويقولون: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، ويزعمون أنهم قد وصلوا إلى اليقين، وفيهم من يعالج بالجن والسحر.

المسلمون في الهند وأهل العقائد الأخرى!!

التوحيد: هل يحصل المسلمون على حقوقهم في الهند مثل الأغلبية؛ أم أنهم يضطهدون وتسلب حقوقهم.

أما حالنا بصفة عامة فنحن في بلد أغلبه ليسوا بمسلمين، ولكن دستوريًا وقانونيًا حقوقنا محفوظة، فهناك مثلاً وزارة أوقاف للمسلمين لها وزير مكلف بذلك، وأنا عضو بإدارة الأوقاف في الولاية منذ سبع سنوات، وإذا سجل مسجد أو مدرسة في وزارة الأوقاف فإنه يكون محفوظًا لا يجوز أخذه لأي جهة، ولو كانت الحكومة؛ إلا إذا كان هذا بإذن من وزارة الأوقاف ويتم تعويضهم عند ذلك، وأيضًا المساجد والمدارس والمؤتمرات الإسلامية كل هذا مسموح بشرط ألا نتدخل في شئون الآخرين، وألا نجرح مشاعر أهل الديانات الأخرى، أما الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فهذا متاح، فمن التحى أو التزم السنة في هيئته لا يؤذى في عمله بسبب ذلك، وكذلك الحجاب لسنا مثل بعض البلاد، حيث تمنع النساء من التعليم والعمل بسبب الحجاب، فهذا لا يوجد عندنا، فمن تفوق يجد حقه دون اضطهاد من أحد، لكن يوجد أشخاص يحاولون مضايقة المسلمين، لكن في النهاية هم أشخاص لا يمثلون إلا أنفسهم ويمكننا محاسبتهم بالقانون، أما الحكومة فالأمور على ما يرام.

التوحيد: لكن أحيانًا نسمع عن مصادمات ومظاهرات هل هي ناتجة عن مشاكل أو اضطهاد يعاني منه المسلمون هناك أو هي نتاج تصرفات فردية ومشاحنات عادية؟

هذا يكون لأسباب صغيرة، إما مظاهرات متطرفة أو في يوم عيد مثلاً يحدث أن بعض الأشخاص من خبيثي النفوس يرمي حجرًا إلى المسجد أو إلى هيكل، ثم هذا يؤدي إلى فتنة كبيرة، وقد يتسبب في ذلك مسلمون أيضًا في بعض الأحيان حينما تقع بعض الأخطاء الشخصية من شباب المسلمين، ثم يتولى ذلك العقلاء من أهل الأديان.

التوحيد: ما هي علاقتكم بأهل الحديث وما هو حجم الجماعة وانتشارها ومنهجها؟

نحن أهل الحديث، ونحن على المنهج السلفي، والجماعة كبيرة جدًا - والحمد لله - ومقرها في دلهي وأمينها العام الآن هو الشيخ أصغر علي، ولها فروع كثيرة، لكن لا نستطيع أن نقول: أهل الحديث جماعة، فهناك الكثير من السلفية ليسوا بالضرورة ينتمون إلى جمعية أهل الحديث رسميًا، لكن يقولون: نحن من جماعة أهل الحديث.

التوحيد: ما الصعوبات التي تواجه الدعوة عمومًا في الهند؟

أكبر مشكلة هي استدلالات أهل البدع والضلالات على بدعهم وتلبيسهم على الناس فيها بأدلة من الكتاب والسنة يضعونها في غير موضعها، فيكون تأثيرهم سريعًا؛ لعدم وجود قاعدة علمية عند الناس هناك، وقد طوروا أنفسهم واتصلوا بمناصريهم حول العالم ولهم شبكة عالمية ويأتيهم حتى من مكة، فقد جاءهم من مكة الشيخ محمد علوي المالكي، وأسس مركزًا كبيرًا، وكذلك هنا في مصر اتصلوا بالطريقة الدسوقية وغيرها.

لكن عندما نعطي فرصة للجيل الجديد للتعرف على الحق، كثيرٌ منهم يتحول إلى التوحيد، والحمد لله مساجدنا يوم الجمعة يصلي بها أعداد كبيرة ليسوا

المسلمون في الهند فقراء، حيث يبلغ تعداد المسلمين حوالي مائتي مليون نسمة، وتعد الهند من أكبر الدول التي بها مسلمون بعد إندونيسيا.

دعوتنا في الهند تقوم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونسير على قاعدة ارتكاب أخف الضررين.

Upload by: altawhedmag.com

من جماعتنا، وإنما هم من عامة المسلمين، لكن بالتدريج والتعليم يتحولون إلى دعوة التوحيد.

الصوفية لا ينشرون دعوتهم ونحن ننشر بينهم دعوة التوحيد

التوحيد: هل معنى هذا أن الدعوة عندكم صارت أكثر تأثيرًا من الجماعات الأخرى؟

الصوفية لا ينشرون دعوتهم، فإذا وجدوا موحدًا لا يدعونه ولا يتحدثون إليه، لكن نحن ندعوهم، ونحن نقول: المسلم ربما يكون عقلانيًا، لكن لا يكون مشركًا، وكثير من زعمائهم تحولوا بفضل الله إلى دعوة الحق والتوحيد، فنحن عندنا دعاة كانوا قبل هدايتهم من دعاة الشرك والبدع، ونحن نقوم بالمحاضرات والحوارات ونشر الكتيبات وعندنا وحدة متنقلة بالسيارة نمشي بها إلى القرى والمدن ونتكلم ونترجم للناس، وعندنا ترجمة موثقة تم إعادة طبعها في مجمع الملك فهد في المدينة النبوية، وتصل إلى كل مكان مجانًا، والحمد لله.

المذاهب منتشرة في الهند والخلاف بينها قليل

التوحيد: هل أنتم تتمذهبون بمذهب الإمام أحمد؟

في شمال الهند المسلمون أحناف، وفي ولايتنا أكثرهم على المذهب الشافعي، وهو مذهب قريب من المذهب الحنبلي؛ حيث لا خلاف بينهما في كثير من الأمور إلا قليلا، فنحن لا نقول بمذهب الشافعي، لكن نقول: نحن نتبع الحديث، ولكن أغلبية المسلمين في الهند على المذهب الشافعي إلا كبار المشايخ، وأحيانًا نقول بقول ابن تيمية والحنابلة في بعض المسائل.

دور المسلمين في الحياة العامة في الهند

التوحيد: وهل لكم دور في الحياة العامة في الهند وتقلد المناصب الحكومية؟

هذا ليس للجماعة فقط لكن للمسلمين عمومًا، نعم فهناك وزراء مسلمون، والآن نائب الرئيس مسلم وهو محمد حامد أنصاري، وهناك وزراء مسلمون وكان وزير الشئون الخارجية أي أحمد مسلمًا، وقد زار مصر بدعوة من الحكومة المصرية بعد الثورة.

التوحيد: وهل أثرت الثورات العربية على الوضع العام في الهند؟

عندما تكون هناك ثورات يقوم شباب المسلمين في الهند أيضًا بتأييدها، ونحن نرى أن لكل مكان ظروفًا وخصوصية لا نستطيع أن نتبع نحن في بلدنا مثل ذلك، فموقف حكومتنا جيد بالنسبة للمسلمين، ثانيًا: ما هو الأنفع والأصلح وما هو الأكثر نفعًا للإسلام وللتوحيد، أما في العلاقات بين البلدين فهذا شيء آخر.

تأثير الخلافات بين الهند وباكستان على المسلمين في الهند!!

التوحيد: ما تأثير بعض الخلافات الحدودية التي تقع بين باكستان والهند على المسلمين في الهند؟

هذه الأحداث تؤثر كثيرًا، ونحن في الهند كمسلمين لا نشرك إخواننا في كشمير في قضايانا، فهم لهم لجنة خاصة بهم، فأهل الهند يرون كشمير جزءًا لا يتجزأ من الهند، لكن إخواننا في كشمير يريدون دولة مستقلة في كشمير، وكذلك باكستان يريدون أن يضموا كشمير إليهم.

التوحيد: هل تؤثر هذه الخلافات على المسلمين في الهند؟

تؤثر؛ لأن كشمير لا بد من حدوث الاستقرار فيها، وعندما يحدث أي شيء فهذا عندما نراه ونسمع عنه، كل يوم المشاكل في الجرائد من المسلمين أو عليهم، فهذا يشوه سمعة المسلمين في داخل الهند أيضًا ليس كشمير فقط، ولكن في أي مكان في العالم ننظر إلى الأسماء أولا إذا كان الفاعل مسلمًا، فهذا يحزننا كثيرًا.

تشويه صورة الإسلام تؤثر سلبًا علينا في الهند

التوحيد: ما الذي تريدون من الدول الإسلامية الأخرى لمساعدتكم على نشر الدعوة في الهند؟

أهل البدع منتشرون في الهند، ويُدلسون على الناس لنشر منهجهم على بطلانه باستخدام متشابهات القرآن.

• • •

كثير من دُعاة الشرك تحولوا بفضل الله إلى دعوة التوحيد، وأصبحوا دعاة لها، ودعوتنا تتغلغل وتنتشر بين الصوفية وتؤثر فيهم.

Upload by: altawhedmag.com

نشر الدعوة في الهند الآن أرى أنه سيكون مؤثرًا إذا كان في إطار دعوة غير مباشرة، فالشعب الهندي يتكوَّن مِنْ عدة طبقات، فهناك الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة السفلى وعندهم كثير من المشاكل، والنصارى عندما جاءوا للتبشير والتنصير في الهند ما قاموا بدعوة مباشرة علنية، لكن قاموا بتأسيس المستشفيات في المدن الفقيرة والمدارس، وهكذا أثروا كثيرًا في الشعب، وبسبب ذلك تنصر كثير من الهندوس، وأيضًا هناك سمعة الإسلام في العالم بصفة عامة وما شابهها من مشاكل.

فأولاً لا بد أن نحسن صورتنا، وأن نعطي للناس نموذجاً لحياة جميلة، فهذا تأثيره أفضل مثلاً من أن أخطب لساعات، هذا أثر عظيم إذا عاش الأنسان مسلمًا مثاليًا، وهذا أمر صعب.

فأنا أرى أن إصلاح سلوك المسلمين ومنهجهم وعقيدتهم هذا هو الأهم للدعوة الإسلامية، وأما بدون ذلك فالإسلام موجود في الكتب، لكن أين هو في واقع المسلمين؟!

وبلد مثل الهند يحتاج إلى أعمال تعليمية إغاثية اجتماعية، في مثل هذه الأشياء لا بد أن يساعد أغنياء المسلمين لإكمال هذا العمل الدعوي.

التوحيد: هل من كلمة توجهونها إلى القائمين على مجلة التوحيد وإلى قراء مجلة التوحيد؟

أولاً: أحب أن أقول: إننا نستفيد كثيرًا من هذه المجلة، ونصيحتي لقراء المجلة أو من يطلع عليها أن يستفيد منها؛ لأنها مجلة يكتب فيها الكتاب جميع المقالات والدروس من الكتاب والسنة، لا من أفكار الأشخاص أو الجماعات.

ثانيًا: كما أنها تلتزم بالموقف الوسطي في الأمور، بعيدًا عن التشدد والمخالفات، وقد قرأت فيها عن الأحداث التي جرت في مصر بين المسلمين والنصارى، ونسب فيها هذا العمل للسلفيين، وفيها رد جيد عن الدعوة السلفية وفيها نصيحة لمن أقدم على هذا العمل.

في مجلة التوحيد أن رئيس أنصار السنة في ضيافة الدعوة السلفية بالإسكندرية، فهل هذا معناه أنكم ترون تعدد الجماعات لغرض واحد، فهناك جمعيات مختلفة تعمل في جهات مختلفة، لكن غرضهم واحد ألا وهو التوحيد، ونحن في الهند لا يمكننا فعل ذلك وهو بالفعل شيء مطلوب في العمل الدعوي.

التوحيد: ما هو المستوى التعليمي في الهند عمومًا؟

المستوى العلمي التعليمي في الهند هناك مواد مثل العلوم والآداب وغيرها مستواها جيد، لكن مستوى تعليم اللغة العربية عندنا طبعًا أقل من الدول العربية، لكن هناك فرصة لاستدراك هذا الأمر في الدراسة الجامعية في العالم العربي.

مجلة التوحيد في جامعة روضة العلوم!!

التوحيد: هل تصلكم مجلة التوحيد في الهند؟

مجلة التوحيد تُرسَل إلينا في كلية روضة العلوم، وهي مجلة ممتازة والأساتذة والطلاب يستفيدون منها، وهي تأتي إلينا منذ فترة طويلة، لكن الكلية بها ثلاثمائة طالب يدرسون اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وهذه الكلية هي أم لمجمع كبير، فهي تحتوي على عشرة معاهد؛ كلية العلوم والآداب العربية، ومعهد الإدارة، وعدد طلابها يصل إلى عشرة آلاف طالب وطالبة، فلو تمكنتم من إرسال أعداد أكثر ليستفيد طلابنا في قسم الدراسات العليا فهذا أفضل.

وفي نهاية اللقاء أبدى ضيفنا الكريم رغبة شديدة في زيادة أعداد مجلة التوحيد المرسلة إليهم، ونحن ندعو الله أن ييسر لإخواننا في الهند وغيرها أمر دعوتهم لنشر عقيدة التوحيد، على وعدٍ بتبادل الزيارات الدعوية ودعوتنا لحضور المؤتمرات التي يعقدونها.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

دخل الإسلام الهند منذ السنوات الأولى للإسلام، وحكموا الهند سنوات طوال، ومع ذلك أصبح المسلمون الآن يزيد عددهم على المائتي مليون مسلم، وهم أقلية بالنسبة لتعداد سكان الهند.

● ● ●

لمسلمي الهند دورهم في الحياة العامة، فهناك وزراء مسلمون يشاركون في الحياة العامة، كما أن نائب الرئيس في الهند هو محمد حامد أنصاري.

Upload by: altawhedmag.com

باب التفسير

تفسير سورة الصافات

الحلقة الرابعة

إعداد:
د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال الله تعالى: [وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ
٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ
مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا
ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ
إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ
فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ
ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ
مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ
ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا
فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي
سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ
بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ
إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ
١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ
١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩
كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا
عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ
مُبِينٞ ١١٣] [الصافات: ٨٣- ١١٣].

قصة الخليل إبراهيم عليه السلام

يقول تعالى: وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ أي من شيعة نوح عليه السلام، وشيعة الرجل أعوانه وأنصاره وأتباعه، الذين هم على ملته وطريقته، ونهجه وسنته في توحيد الله تعالى والإيمان به، ودعوة الناس إلى توحيد الله تعالى والإيمان به، والصبر على مشاق الدعوة، وتحمُّل الأذى في سبيل الله عز وجل وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ، وهو الخليل عليه السلام، والد إسماعيل عليه السلام،

Upload by: altawhedmag.com

وهذه منقبة عظيمة لإبراهيم، أنه من أنصار التوحيد ودعاته.

لا نجاة إلا بسلامة القلب

ثم يثني الله تبارك وتعالى على خليله بسلامة القلب، فيقول: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ سليم من الشرك، سليم من الكفر، سليم من الرياء، سليم من النفاق، سليم من الغل، سليم من الحقد، سليم من الحسد، سليم من كل ما لا يرضي الله تبارك وتعالى، وإنما حرص عليه السلام على سلامة قلبه لاعتقاده أنه لا ينجو يوم القيامة إلا صاحب القلب السليم، ولذلك كان من جملة دعائه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٧- ٨٩].

فمن أراد النجاة؛ فعليه بسلامة القلب، ومن أراد النجاة؛ فعليه بسلامة الصدر، فلا ينجو يوم القيامة إلا صاحب القلب السليم.

ضرورة الدعوة إلى الله

ولما سَلِمَ قلبه من الكفر والشرك اجتهد عليه السلام في دعوة الكفار والمشركين، فدعاهم إلى التوحيد الذي به تسلم قلوبهم؛ فإنه لا يكفي أن يكون قلبك سليمًا، بل يجب عليك إذا سَلِمَ قلبك؛ أن تدعو غيرك إلى سلامة القلب، لا يكفي أن تكون مؤمنًا حتى تدعو الكافرين إلى الإيمان، لا يكفي أن تكون موحدًا حتى تدعو المشركين إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣] فأصلحوا بذلك أنفسهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، من أجل إصلاح غيرهم، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] إذا اهتديتم في أنفسكم، ودعوتم غيركم إلى الاهتداء فلم يهتدوا؛ فلا يضركم ضلالهم، لكن لا يكفي أن تكون مهتديًا في نفسك غير هادٍ لغيرك، ولما أحس أبو بكر رضي الله عنه بانتشار هذا المفهوم بيْن الناس أنه لا يضرهم من ضل إذا كانوا هم مهتدين، صعد المنبر وصحَّح المفاهيم:

عَنْ قَيْس قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ؛ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ». [أبو داود ٤٣٤٠ وصححه الألباني].

إنكار الخليل على أبيه وقومه:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ وهو استفهام توبيخ وتبكيت؛ لأنه عليه السلام يعلم ماذا يعبد أبوه وقومه، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي أتأفكون إفكًا، والإفك أسوأ الكذب، أي أتكذبون كذبًا، وتجعلون مع الله آلهة تعبدونها معه سبحانه وتعالى، وهو الذي لا إله غيره، ولا رب سواه.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ إذا لقيتموه يوم القيامة، وقد جعلتم معه آلهة أخرى؟! ما ظنكم أن يفعل بكم، وقد كفرتم به، وأشركتم به غيره؟!، ما ظنكم أن يفعل بكم، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

ثم عزم عليه السلام أن يكسر هذه الأصنام التي يعبدها أبوه وقومه من دون الله، قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وفي يوم عيد من أعيادهم دعَوْه إلى الخروج معهم، وقالوا: إنك لو خرجت معنا في عيدنا؛ لرأيت أن في ديننا فسحة، ولرأيت أن ديننا حسن، فاخرج معنا يا إبراهيم في يوم العيد.

Upload by: altawhedmag.com

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ قالوا: هذه حال المتفكر؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يتفكر قطع الشواغل عن بصره، فينظر في السماء حتى لا يرى شيئًا حوله يشغله عما يفكر فيه، فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ، شأنه في ذلك شأن المتأمل المتدبر الذي يبحث عن جواب شيء يدور في خَلَده، فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ، لا أستطيع الخروج معكم اليوم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ الله عز وجل، قَوْلُهُ إِنِّي سَقِيمٌ وَقَوْلُهُ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا، وذكر الثالثة، وهي قوله عن سارة زوجته-وقد سأله عنها جبار مصر- فقال: هي أختي. [متفق عليه].

وهذا القول ليس كذبًا في الحقيقة، وإنما هو من معاريض الكلام، وكان يدافع به عن دين الله عز وجل، ويناضل به عن دين الله، فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ، أي مريض، لعله قصد: أنا مريض القلب من أحوالكم ومن عبادتكم غير الله عز وجل؛ لأن المسلم إذا رأى الشرك في الناس، وإذا رأى الكفر في الناس، وإذا رأى الناس معرضين عن التوحيد؛ يتقطع قلبه غيرةً وحميةً لدين الله عز وجل.

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فتركوه وذهبوا، وكان من عادتهم في ذلك اليوم أنهم في الصباح يجمعون الطعام، طعام العيد من الحلوى، والفاكهة، ونحوها، ويضعونها في البهو في المعبد أمام الأصنام؛ طلبًا للبركة، فإذا كان آخر النهار أكلوا هذا الطعام الذي حصلت له البركة من الأصنام بزعمهم.

فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ أي دخل عليها خُفْية، فرأى الأصنام على ترتيبها؛ الأكبر، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، والطعام أمامهم، فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾



وهو يعلم أنهم لن يجيبوا، ولكن هذا تهكم وسخرية.

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ خصّ الضرب باليمين؛ لأن اليمين محل القوة والشدة في البطش، قال تعالى في سورة الأنبياء: فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا يعني كسَّرها تكسيرًا، وحطّمها تحطيمًا، إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ [الأنبياء: ٥٨]، ورجع القوم آخر النهار فوجدوا الأصنام مكسرة إلا واحدًا، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا [الأنبياء: ٥٩]، انظر إلى هذا الغباء؛ الأصنام مكسرة وهم يصرّون أنها آلهة، أي إله هذا؟!، العاجز الذي لا يستطيع أن يدافع عن نفسه لا يصلح أن يكون إلهًا، قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ [الأنبياء: ٥٩- ٦٠].

قال العلماء: كلمة (فتًى) يمكن أن يُراد بها القدح، ويمكن أن يُراد بها المدح؛ فإن كان يُراد بها القدح فمعناه: أنه شاب صغير يتكلم عنهم فلا تعبأوا به، وإن كان يُراد بها المدح؛ فمعناه أنه شاب جلد قوي قادر على هذا الفعل، فيكون مدحًا له.

قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ [الأنبياء: ٦٤]، أرادوا أن تكون المحاكمة علانية؛ حتى لا يجرؤ أحد على فعل ما فعل إبراهيم؛ لأن الإنسان بطبيعته إذا رأى من يُحاكَم على شيء؛ لا يجرؤ على فعله، فأرادوا بمعاقبته زجرَ غيره، ولذلك قال ربنا عز وجل في جلد الزناة: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ [النور: ٢]، فما الحكمة من شهود طائفة من المؤمنين جلْد الزناة أو رجمهم؟ الحكمة: العبرة والخوف والحذر من الفعل.

Upload by: altawhedmag.com

فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ فأتوا به على مشهد من الناس، وانعقدت المحاكمة، ووُجِّه إليه السؤال: قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ [الأنبياء: ٦٢]، فأجاب: قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ [الأنبياء: ٦٢]، فكان الجواب صدمة لهم أفاقوا به من غفلتهم، قالوا: نعم، كيف نعبد أصنامًا لا تتكلم؟ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ [الأنبياء: ٦٤]، وكان هذا نور الفطرة الذي أضاء في قلوبهم هذه اللحظة، ولكنه لم يستمر، إنما كان ومضة صغيرة أضاءت، ثم انطفأت مرة ثانية ولم يستغلوها، ولذلك قال الله تعالى: ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ [الأنبياء: ٦٥]، أنت تعلم يا إبراهيم أن هذه الأصنام لا تتكلم، فكيف تقول: اسألوها؟ وهنا استشاط غضبًا وهو الحليم قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [الأنبياء: ٦٦- ٦٧]، وقال هنا: قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ؟! أنتم الذين صنعتم هذه الأصنام، فكيف بعد ذلك تعبدونها؟! وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ، الله هو الذي خلقكم، وهو الذي خلق هذه الحجارة التي نحتموها على هيئة الأوثان والصور والتماثيل، فهو الذي يستحق أن يُعبَد؛ لأنه الذي خلق، ومن لم يخلق فهو عاجز، والعاجز لا يستحق أن يكون إلهًا، ولذلك قال ربنا سبحانه: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ [الحج: ٧٣]، فإذا عجزوا أن يخلقوا ذبابة فكيف يُعبدون؟! إنما الإله الحق هو الذي خلق السموات والأرض، وما بينهما، وما فيهما، ولذلك قال ربنا سبحانه: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢١- ٢٢].

ومع هذا كله قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ [الأنبياء: ٦٨]، فهم مُصرُّون على كونها آلهتهم، وهنا قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ [الصافات:٩٧]، فبنوا سورًا على مساحة واسعة، له أربع جدران مرتفعة جدًا، وملأوه بالحطب، ثم أوقدوا نارًا، وأوثقوا الخليل إبراهيم عليه السلام بالحبال وألقوه في هذه النار.

فضل قوله: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل



عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ [آل عمران: ١٧٣]. [البخاري ٤٥٦٣].

قال الله تعالى: قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ [الأنبياء: ٩٦- ٧٠]، وهو الفائز، وقال هنا: فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ وهو الأعلى.

وبعد مدة انطفأت النار، وخرج إبراهيم عليه السلام كأنما كان يتنزه في بستان، حتى جاء عنه في بعض الروايات أنه قال: ما عشت أيامًا أحلى ولا ألذ من أيام النار.

هجرة الخليل عليه السلام

وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ وقال في

Upload by: altawhedmag.com

سورة العنكبوت: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] لأعبد الله في أرضه الواسعة، وسَيَهْدِينِ ربي لما فيه صلاح ديني ودنياي، ثم توجه إلى الله يسأله العوض عما ترك فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ هب لي ذرية طيبة صالحة تعوّضني بها عما خلّفت ورائي في الوطن من الأهل والقوم والعشيرة، ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ وهو إسماعيل، رزقه من هاجر التي وهبها جبار مصر لسارة، فوهبتها سارة لزوجها إبراهيم.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ لما كبر إسماعيل عليه السلام وصار شابًا يُرجَى نفعه، جاء الاختبار، فرأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبحه، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء وَحْيٌ، ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، ليس هذا لمجرد الاستشارة؛ لأن إبراهيم عليه السلام منفِّذ لأمر ربه، وافق إسماعيل عليه السلام أم لم يوافق، ولكن إبراهيم عليه السلام أراد أن يشرك ولده في الأجر والثواب، فانظر إلى الجواب الشافي الكافي من إسماعيل عليه السلام، ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ لأنه يعلم علم اليقين أن رؤيا أبيه حق، وأنها أمر من الله، ثم تبرأ من حوله وقوته، ولجأ إلى حول الله تعالى وقوته قائلاً: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وأخذ إبراهيمُ إسماعيلَ، وصعد به الجبل بعيدًا عن أمه، ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ لله عز وجل، وخضعا وانقادا، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣﴾ قال ابن قتيبة: أي صرعه على جبينه، فصار أحد جبينيه على الأرض، وهما جبينان، والجبهة بينهما، وهي ما أصاب الأرض في السجود، والناس لا يكادون يفرّقون بين الجبين والجبهة، فالجبهة مسجد الرجل الذي يصيبه ندب السجود، والجبينان يكتنفانه، من كل جانب جبين. وهنا تحقق المقصود من الاختبار، فلم يكن المقصود تعذيب إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل بالذبح، ولكن المقصود تجريد قلب إبراهيم لله؛ لأن الله اتخذه خليلاً، ولا يجوز أن يكون خليلاً، ويحب مع الله غيره.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤] هكذا جاوزت الاختبار وفزت ونجحت؛ لأنه قد عزم على الفعل، ومن عزم فقد فعل. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٥- ١٠٦] أي العظيم، وهل هناك ابتلاء واختبار أعظم من هذا الابتلاء والاختبار، أن يُؤمَر الرجل بذبح ابنه بيده، ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، التفت إبراهيم فرأى كبشًا سمينًا عظيمًا فأخذه فذبحه.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾ [الصافات: ١٠٨- ١١٢] فهل يُعقل بعد هذا أن يقال: إن الذبيح كان إسحاق، الذبيح هو إسماعيل؛ لأن الله تعالى بشّر إبراهيم بإسحاق بعد الانتهاء من الذبح، وكانت هذه البشارة بعض ما جزاه الله به في الدنيا على إسلامه وجهه لربه واستسلامه له، وكانت البشارة لما جاءت الملائكة لإهلاك قوم لوط عليه السلام، كما ذكر الله تعالى في سورة هود ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ٧٠ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ٧١ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٦٩- ٧٢].

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ لنفسه بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ بالكفر أو ما دونه من المعاصي ﴿مُبِينٌ﴾ أي ظلمه بيِّن ظاهر.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المحسنين، وأن يغفر لنا ذنوبا وإسرافنا في أمرنا وظلمنا لأنفسنا.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

باب السنة

السنة هي المصدر الثاني للتشريع

الحلقة الرابعة

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق سيد ولد آدم، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم إحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فقد سقنا في العدد السابق الشبهة الرابعة التي ألقى بها المشككون في السنة وتدوينها وما احتج به أصحاب الشبهات، ثم كان الجواب عن هذه الشبهة، فتكلمنا عن: صيانة الحجة إنما تكون بعدالة حاملها وكذلك عن أن الحجية لا تتوقف على الكتابة، ونكمل في هذا العدد، فنقول وبالله التوفيق وبه الثقة:

الكتابة دون الحفظ قوة

الحفظ – عند المسلمين – أقوى من الكتابة وأوثق؛ فإن علماء الأصول إذا تعارض حديث مسموع مع حديث مكتوب يرجِّحون المسموع، قال الآمدي في «الإحكام»: «وأما ما يعود إلى المروي فترجيحان؛ الأول: أن تكون رواية أحد الخبرين عن سماع من النبي صلى الله عليه وسلم، والرواية الأخرى عن كتاب، فرواية السماع أولى؛ لبعدها عن تطرق التصحيف والغلط».

وكذا علماء الحديث قد اتفقوا على صحة رواية الحديث بالسماع – أي الحفظ – واختلفوا في صحة روايته بطريق المناولة أو المكاتبة، والصحيح كما قال الحافظ في الفتح: شرط قيام الحجة بالمكاتبة: أن يكون الكتاب مختومًا، وحامله مؤتمنًا، والمكتوب إليه يعرف خط الشيخ، إلى غير ذلك من الشروط الدافعة لتوهم التغيير.

الحفظ أقوى من الكتابة خصوصًا من العرب ومن على شاكلتهم

إن العرب كانوا أمة أمية، يندر فيهم من يعرف الكتابة، ومن يعرفها منهم قد لا يتقنها، وإذا أتقنها فقد لا يتقن قراءتها القارئ منهم – خصوصًا قبل وضع قواعد النقط والشكل والتمييز بين الحروف المعجمة والمهملة–، لذلك كان جُل اعتمادهم على الحفظ في تواريخهم وأخبارهم ومعارضاتهم وسائر أحوالهم، حتى قويت ملكة الحفظ عندهم، وندر أن يقع منهم خطأ أو نسيان لشيء مما حفظوه، بخلاف الأمم التي تعتمد على الكتابة، وهي متعلمة لها، متمرنة عليها، فإنه تضعف فيهم ملكة الحفظ ويكثر عندهم الخطأ والنسيان لما حفظوه.

Upload by: altawhedmag.com

هذه الحال مشاهدة بيننا، فتجد الأعمى أقوى حفظاً لما يسمعه من البصير؛ لأنه جعل كل اعتماده على ملكة الحفظ، أما البصير فإنه يعتمد على الكتاب، وأنه سينظر فيه عند الحاجة، وكذلك طلاب العلم، وترى التاجر الأمي يعقد عدة صفقات في ساعات قلائل ومع ذلك يحفظ جميع ما له عند الغير، وما عليه له دون خطأ أو نسيان، بخلاف التاجر المتعلم الذي يتخذ الدفاتر في متجره ويعتمد على الكتابة، فإنه سريع النسيان لما لم يكتبه، كثير الخطأ فيه.

ولقد ساعد العرب على تقوية ملكة الحفظ عندهم طبيعة جوهم ومعيشتهم البسيطة، وذكاؤهم الحاد، وفهمهم القوي لما يحدث بينهم وخبرتهم الواسعة بأساليب لسانهم وطرق بيانهم.

الصحابة والتابعون وقوة الحفظ لديهم

إذا كان هذا حال العرب في جاهليتهم، فما بالنا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، فقد قيّضهم الله سبحانه وتعالى لحفظ الشرع وصيانته، وحمله وتبليغه لمن بعدهم، وملأ قلوبهم إيماناً وتقوى ورهبة وخوفاً من أن يبلغوا من بعدهم شيئاً من أحكام الدين على غير ما سمعوا ورأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن غير أن يثبتوا ويتأكدوا أنه هو الحق من ربهم، وهم قد حصلت لهم بركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وتربوا على يديه، واستنارت قلوبهم وعقولهم بنوره، وتأدبوا بأدبه واستنوا بسنته، ودعا لهم بالعلم والحفظ والفقه كما ورد في أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم.

وكذلك التابعون كانت ملكة الحفظ عندهم قوية، فإنهم اجتمعوا بالصحابة وشاهدوا أحوالهم، واتبعوا خطاهم واقتفوا آثارهم، وذلك ينفي عن سامع الحديث من أحدهم توهم خطأ أو نسيان أو تبديل أو اختلاق.

والأخبار التي تدل على قوة الحفظ عند العرب كثيرة يعلمها القاصي والداني، فقد كان كثير من الصحابة والتابعين مطبوعين على الحفظ، مثل ابن عباس والشعبي والزهري والنخعي وقتادة، فكان أحدهم يكتفي أن يسمع القصيدة مرة واحدة فيحفظها.

وعلى ذلك فإن الكتابة والحفظ يتناوبان في المحافظة على الشيء، وغالباً ما يضعف أحدهما إذا قوي الآخر، وهذا يوضح لنا أحد الأسباب التي حملت الصحابة على حث تلامذتهم على الحفظ ونهيهم عن الكتابة؛ وذلك لأنهم كانوا يرون أن الاعتماد على الكتابة يضعف فيهم ملكة الحفظ.

> قيض الله سبحانه وتعالى الصحابة رضي الله عنهم لحفظ الشرع وصيانته وحمله وتبليغه لمن بعدهم، وملأ قلوبهم تقوى ورهبة وخوفاً من أن يبلغوا شيئاً من أحكام الدين على غير ما سمعوا

الحفظ أعظم من الكتابة فائدة وأجدى نفعاً

وذلك أن الحفظ - غالباً - لا يكون إلا مع الفهم وإدراك المعنى، حتى إنه ليستعان بذلك على عدم نسيان اللفظ، ومن حفظ شيئاً فإنه يراجعه حيناً بعد حين ليأمن من زواله، وأهم من ذلك أن علمه يكون في صدره يصطحبه أينما ذهب ومتى كان، فيرجع إليه متى شاء، ولا يكلفه حمله حينئذ مؤونة ولا مشقة، وأما الكتابة فتفتقد ذلك كله؛ فقد تكون بغير فهم المعنى، اعتماداً على أنه سوف يفهم ما كتبه بعد ذلك، وقد تضيع عليه الفرصة في المستقبل لضياع المكتوب أو عدم وجوده عند الحاجة إليه، وغالباً ما يجد مشقة في حمل المكتوب معه في كل وقت وكل مكان، وبذلك يكون نقلة العلم جهالاً، وما أعظمه سبباً في ضياع العلم، ومما يرشد إلى ذلك قول إبراهيم النخعي: «لا تكتبوا فتتكلوا».

وقد قيل:

استَوْدَعَ العلمَ قرطاساً فضيعه
وبئس مستودع العلم القراطيس

وقال الخليل بن أحمد:

ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ
ما العلم إلا ما حواه الصدر

الحكمة في النهي عن كتابة السنة

للعلماء في بيان حكمة هذا النهي أقوال:

الأول: أنه نهاهم عن كتابتها خشية اختلاطها بالقرآن، واشتباهه بها، فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تمييز القرآن كله بالكتابة عن

Upload by: altawhedmag.com

العارفون للكتابة كانوا قليلين فاقتضت الحكمة قصر مجهودهم على كتابة القرآن الكريم، وعدم اشتغالهم بكتابة غيرة تقديمًا للأهم على المهم

سائر ما يصدر عنه، وتخصيصه بها إلى أن يطمئن إلى كمال تميزه عن غيره، عند سائر الناس، وإلى استقراره في القلوب وشيوعه بين الناس، حتى إنه إذا أخطأ فرد من الأمة - فخلط بينه وبين غيره - رده سائر الأمة إلى الصواب، ولذلك لما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم إلى تميزه تمام التميز أذن في كتابة السنة.

القول الثاني: أنه نهى عن كتابتها خوف اتكالهم على الكتابة، وإهمالهم الحفظ الذي هو طبيعتهم وسجيتهم، وبذلك تضعف فيهم ملكته، ولذلك كان النهي خاصًا بمن كان قوي الحفظ آمنًا من النسيان، وأما من كان ضعيف الحفظ فقد أجاز له النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة كما حدث مع أبي شاه، وكذلك أجاز الكتابة لمن قوي حفظه لما كثرت جدًا وفاتت الحصر والعد، وضعف عن حفظ جميعها، كما حصل لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

القول الثالث: أن العارفين للكتابة كانوا في صدر الإسلام قليلين، فاقتضت الحكمة قصر مجهودهم على كتابة القرآن الكريم، وعدم اشتغالهم بكتابة غيره؛ تقديمًا للأهم على المهم، ولذلك لما توافر عددهم أذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الحديث.

القول الرابع: أنه نهاهم خشية الغلط فيما يكتبون من السنة لضعفهم في الكتابة، وعدم إتقانهم لها وإصابتهم في التهجي، فعلى هذا يكون من نُهُوا عن الكتابة كانوا لا يحسنونها، فأما من كان يحسنها فقد أذن له، ولا يتطرق ذلك إلى القرآن؛ لأن القرآن كانوا يتوافرون على حفظه من كتب ومن لم يكتب، بخلاف الحديث.

إذنه صلوات الله وسلامه عليه بكتابة السنة

قد ثبت إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ما يصدر عنه من غير وجه؛ فمن ذلك:

حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» أنه قال: «قلت: يا رسول الله، أأقيد العلم؟ قال: «قيِّد العلم». قال عطاء: وما تقييد العلم؟ قال: كتابته» [الطبراني في الأوسط ٨٤٨].

وحديثه رضي الله عنه عند أهل السنن قال: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله بشر، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق» [أبو داود ٣٦٤٦ وصححه الألباني].

وحديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا - عند ابن عبد البر والذهبي -: «قيدوا العلم بالكتابة».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه - عند أحمد والبيهقي - قال: «ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه، وكنت أعي ولا أكتب، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب فأذن له» [مسند أحمد ٩٢٢٠].

وروى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل (أو القتل)، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، فإنها لم تحل لأحد قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد من بعدي، فلا ينفَّر صيدها، ولا يُختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما يُفْدَى وإما أن يُقيد». فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإذخر فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «إلا الإذخر»، فقام أبو شاه (رجل من أهل اليمن) فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتبوا لأبي شاه»، قال الأوزاعي: يريد: اكتبوا لي هذه الخطبة. [متفق عليه].

Upload by: altawhedmag.com

وروى أحمد والبخاري ومسلم - واللفظ له - عن يزيد بن شريك التيمي أنه قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «من زعم أن عندنا شيئًا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (صحيفة معلقة في قراب سيفه) فقد كذب»، فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، وفيها: قال النبي صلى الله عليه وسلم: المدينة حرام ما بين عَيْر إلى ثَوْر، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً». [متفق عليه].

وروى أبو داود في السنن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «ما كنا نكتب غير التشهد والقرآن» [أبو داود ٣٦٤٨]، والتشهد معلوم أنه من السنة، فثبتت كتابة السنة عن أبي سعيد الذي روى حديث النهي عنها.

وغير ذلك مروي عن رافع بن خديج وابن عباس، وعمرو بن حزم ومعاذ بن جبل وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن

للعلماء في الجمع بينهما أقوال؛ منها:

أولاً: أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك الوقت.

ثانيًا: أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة والإذن كان بكتابة الحديث في صحف مستقلة ليس فيها شيء من القرآن.

ثالثًا: أن النهي كان خاصًا بكُتاب الوحي - المتلو وهو القرآن - الذي كانوا يكتبونه في صحف لتُحفظ في بيت النبوة، والإذن لغيرهم.

رابعًا: أن النهي لمن أمن عليه النسيان، ووُثق بحفظه، وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن لمن خيف عليه النسيان، ولم يوثق بحفظه.

خامسًا: أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بالكتابة دون غيره؛ لأنه كان قارئًا للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعبرية، وغيره من الصحابة كانوا أميين فلم يأذن لهم.

سادسًا: أن يكون الإذن ناسخًا للنهي - كأنه نهى في أول الأمر أن يُكتب قوله، ثم لما علم أن السنن تكثر ويفوت حفظها رأى أن تُكتب وتُقيد، قال ذلك ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث»، والخطابي في «معالم السنن».

لا يصار إلى القول بالنسخ إلا عند العجز عن الجمع بين الدليلين المتعارضين بغيره

سابعًا: من العلماء المعاصرين من قال: إن النهي ناسخ للإذن، وهو غير معقول للأسباب الآتية:

١- أنه لا يصار إلى القول بالنسخ إلا عند العجز عن الجمع بين الدليلين المتعارضين بغيره، وقد أمكن الجمع كما تقدم في الأقوال الخمسة الأولى.

٢- أن أحاديث الإذن متأخرة، فحديث: «اكتبوا لأبي شاه» متأخر، لأنه كان عام الفتح، وحديث أبي هريرة في المقارنة بينه وبين عبد الله بن عمرو متأخر أيضًا، فإسلام أبي هريرة كان متأخرًا.

وحديث همه صلى الله عليه وسلم بكتابة كتاب لن تضل الأمة بعده كان في مرض موته صلى الله عليه وسلم.

٣- إجماع الأمة - إجماعًا قطعيًا - بعد عصر الصحابة والتابعين على الإذن وإباحة الكتابة، وعلى أن الإذن متأخر عن النهي، وهو إجماع ثابت بالتواتر العملي عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول، حتى الذين يقولون - في عصرنا - بأن النهي ناسخ للإذن، فإنهم ملأوا الصحف بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار (٨٦)

إعداد/ علي حشيش

٢٥٨٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ». [حم: (٢٠٥/١)، وهو حديث حسن].

وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها وهو حديث متفق عليه، وكذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه متفق عليه، وحديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه متفق عليه.

والقصب: الدر الرطب المرَصَّع بالياقوت.

٢٥٨٧- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي أَوْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً». [جه: (١١٤١)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٨٨- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ. [ت: (٢٣٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح].

٢٥٨٩- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَنْثِرُوا مَرَّتَيْنِ بَالِغَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا». [د: (١٤١) وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٩٠- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ». [أبو يعلى ح(٤٢٣٧)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٩١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ». [جه: (٤٢٩٠) وهو حديث صحيح].

٢٥٩٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَحَضَرَ النَّحْرُ فَاشْتَرَكْنَا فِي الْبَعِيرِ عَنْ عَشَرَةٍ وَالْبَقَرَةِ عَنْ سَبْعَةٍ». [جه: (٣١٣١)، ت (٩٠٥)، ن(٢٢٢/٧)، واللفظ للنسائي، وهو حديث صحيح].

٢٥٩٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». [حم: (٣٢٨/١)، ح(٣٠٣٨)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٩٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ اعْتَمَرُوا مِنْ الْجِعْرَانَةِ، فَرَمَلُوا بِالْبَيْتِ، وَجَعَلُوا أَرْدِيَتَهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، قَدْ قَذَفُوهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ الْيُسْرَى. [د: (١٨٨٤)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٩٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَدِّمُ ضُعَفَاءَ أَهْلِهِ بِغَلَسٍ، وَيَأْمُرُهُمْ يَعْنِي لَا يَرْمُونَ الْجَمْرَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. [د: (١٩٤١)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٩٦- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ». [ت (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح].

٢٥٩٧- عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ». [ن: (١١٥/٥) وهو حديث حسن صحيح].

٢٥٩٨- عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كُسِرَ

Upload by: altawhedmag.com

أَوْ عَرَجَ فَقَدْ حَلَّ، وَعَلَيْهِ حَجَّةٌ أُخْرَى». فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالا: صَدَقَ. [د: (١٨٦٢)، ت(٩٤٠)، ن(١٩٩/٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح].

٢٥٩٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ». [جه: (١٣٨)، حسن صحيح].

٢٦٠٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ ابْنِ حَمْرَاءَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ». [ت: (٣٩٢٥)، جه (٣١٠٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب].

و«الحزورة»: موضع بمكة.

٢٦٠١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا». [د: (١٢٧١)، وهو حديث حسن غريب].

٢٦٠٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَغْتَسِلَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ. [أخرجه البزار (١١/٢- زوائد) (ح١٠٨٤)، وقال: لا نعلمه عن ابن عمر من وجه أحسن من هذا. وقال الحافظ في «شرح النخبة» (٤٦): «قول الصحابي: من السنة كذا، فالأكثر على أن ذلك مرفوع»].

٢٦٠٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ». [ت: (٣٦٨٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن الفضل بن العباس وأبي ذر وأبي هريرة].

٢٦٠٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيفِ وَيَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ. [ن: (٩٥/٢) وهو حديث حسن صحيح].

٢٦٠٥- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ». [جه: (٤١٨٩)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٦٠٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى النِّسَاءَ فِي إِحْرَامِهِنَّ عَنْ الْقُفَّازَيْنِ وَالنِّقَابِ وَمَا مَسَّ الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ مِنْ الثِّيَابِ. [د: (١٨٢٧)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٦٠٧- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أُرْجِعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ». [ن: (١٨/٦)، وهو حديث صحيح].

٢٦٠٨- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ، فَقَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمُ النَّحْرِ. قَالَ: هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ». [د: (١٩٤٥)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٦٠٩- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ». [جه: (١٦٦٥)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٦١٠- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمَ عِيدٍ فَلَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلا بَعْدَهَا، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَهُ. [ت: (٥٣٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح].

٢٦١١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَرْفَعُوا أَبْصَارَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ تَلْتَمِعَ». (يعني: في الصلاة). [جه: (١٠٤٣)، وهو حديث حسن صحيح].

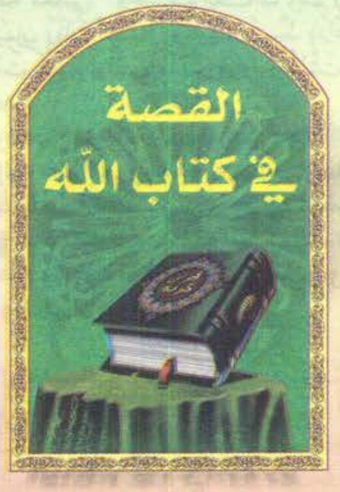
٢٦١٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَقَالَ: تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ». [حم: (٢٧/٢)، ح(٤٨٠٨)، وهو حديث صحيح].

٢٦١٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ». [حم: (١٣٦/٢)، (ح٦٢٠١)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٦١٤- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لا يَنَامُ إِلا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ. [حم: (١١٧/٢) (ح٥٩٧٩)، وهو حديث حسن].

٢٦١٥- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَإِنَّ الْفِئَتَيْنِ لَمُوَلِّيَتَانِ، وَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةُ رَجُلٍ. [ت: (١٦٨٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب].

Upload by: altawhedmag.com



أصحاب الكهف (٣)

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) [الكهف: ١٦]

إعداد/ عبدالرازق السيد عبد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد انتهينا في اللقاء السابق مع قصة هؤلاء الفتية الذين أنكروا على قومهم ما يفعلونه من شرك بالله رب العالمين بغير سلطان واضح مقنع على ما يفعلون ويقولون، فهم يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم، بل هي آلهة زعموها وصنعوها بأيديهم، ثم اتخذوها أندادًا لله رب العالمين، وبات هؤلاء الفتية مهددين إذًا بالرجم حتى الموت، أو إكراههم على الدخول في دين القوم وترك التوحيد الذي هداهم الله إليه، وهم لا يملكون عددًا ولا عتادًا لمواجهة أقوامهم، فتشاوروا فيما بينهم ماذا يفعلون؟ وقد ذكر الله لنا ماذا قالوا؟ وكيف خططوا للنجاة بعقيدتهم في قوله تعالى:

قال تعالى: فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ [الكهف:١٦]. الإيواء إلى الكهف والموت الأول (النوم الطويل)- وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا [الكهف:١٦- ١٧].

هذه صورة من صور الصراع بين الحق والباطل على مرِّ التاريخ، والتي ستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والصورة هنا أن هؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم فيما يعبدون من دون الله، اعتزلوهم في عقيدتهم، وفي عبادتهم، وجهروا بموقفهم في صراحة ووضوح، ولكنهم لا يأمنون على أنفسهم من بطش الملك وأعوانه، فتشاوروا فهداهم الله إلى اعتزال قومهم بأجسادهم كما اعتزلوهم في اعتقادهم، فاختاروا كهفًا يبدو أنهم كانوا يلتقون عنده بعيدًا عن أعين القوم؛ اختاروا هذا الكهف يأوون إليه؛ أملاً في رحمة الله - سبحانه - أن يجعل هذا الكهف الضيق جنة لهم في الأرض وجُنَّة عن أعين المتربصين بهم، وقد كان؛ فقد نشر الله عليهم من رحمته في هذا الكهف، وتولاهم ولاية حفظ وصيانة ونصر على أعدائهم، ومن مظاهر ذلك:

أولاً: مظاهر رحمة الله بأصحاب الكهف:

أ- أثنى الله عليهم ووسمهم بالهداية، وأن الله هو الذي هداهم لهذا الاختيار.

ب- جعل الله لجوءهم إلى الكهف آية من عجائب آياته الكونية وكرامة لهؤلاء الفتية.

ج- وفقهم الله سبحانه وتعالى لاختيار الكهف من حيث الموقع، فتأتي أشعة الشمس عليهم بطريقة معتدلة، فعند الشروق تميل عن كهفهم ناحية اليمين وفي السماء - بعد الظهر - تتركهم ذات الشمال

Upload by: altawhedmag.com

القصة في كتاب الله

> **الأذن هي الحاسة الوحيدة التي تعمل في مختلف الأحوال أثناء النوم، كما هي تعمل أثناء اليقظة، فجاء التعبير القرآني البليغ بالضرب على الأذن كاملاً حتى يعطل السمع بشقيه الداخلي والخارجي فيعزلهم عن العالم عزلاً تامًا حتى يناموا كما أراد الله لهم سنين عددًا**

فتدخل عليهم أشعة مناسبة بتقدير العزيز العليم، فلا هي حارة محرقة ولا باردة مقلقة، مما يحافظ على بيئة نظيفة داخل الكهف خالية من الأشياء الضارة وخالية من الرطوبة والتعفن.

د- ومن مظاهر رحمة الله بهم أن ضرب على آذانهم فعطل وسائل السمع لديهم، وفي قوله تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ.... إعجاز علمي سبق به القرآن الاكتشافات العلمية الحديثة، فالقرآن لم يقل: «فضربنا على سمعهم» فالأذن هي الحاسة الوحيدة التي تعمل في مختلف الأحوال أثناء النوم، كما تعمل أثناء اليقظة، فجاء التعبير القرآني البليغ بالضرب على الأذن كاملاً حتى يعطل السمع بشقيه الداخلي والخارجي فيعزلهم عن العالم عزلاً تامًا حتى يناموا كما أراد الله لهم سنين عددًا.

هـ- تعطيل المحفزات الداخلية والتي قد تساعد على إيقاظهم كالرغبة في الطعام أو الشراب، أو قضاء الحاجة، أو الشعور بالألم.

و- حماية أجسادهم من التلف بتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال؛ لئلا تأكل الأرض أجسادهم ويصابوا بتقرحات الفراش أو جلطات الأوعية الدموية، وبقاء أعينهم مفتوحة لكيلا تتعرض للتلف وأجسادهم تعمل في الحد الأدنى لاستهلاك الطاقة للمحافظة على حيويتها، وهذا كله يتعلق بحمايتهم الداخلية.

ز- أما ما يتعلق بحمايتهم الخارجية، فقد ألقى الله الرهبة في قلب من يراهم، فمن ينظر إليهم يحسبهم أيقاظًا بينما هم نائمون، فيفر هاربًا عند رؤيتهم مما يملأ قلبه من الرعب، كذلك جعل الله كلبهم باسطا ذراعيه عند باب الغار كأنه متحفز لحمايتهم، قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨].

وهكذا نشر الله رحمته على هؤلاء الفتية الذين فروا إليه فآواهم وأيدهم بنصره، وحفظهم داخل الكهف وخارجه ليبعثهم قبل موتتهم الأخيرة في وقت يريده - سبحانه - ليجعلهم للناس آية، فسبحان من تولى عباده الصالحين بالحفظ والنصر والتوفيق في الدنيا والآخرة.

البعث الأول

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:١٩، ٢٠].

- وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ:

معنى البعث هنا: هو الإيقاظ يعني أيقظناهم من نومتهم الطويلة، واستخدم القرآن الكريم لفظ البعث للتنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلاً على إمكانية البعث وكيفيته، قال العلامة ابن عاشور: والإشارة بقوله تعالى: وَكَذَلِكَ إلي المذكور من إنامتهم وكيفيتها، أي كما أنمناهم قرونا بعثناهم، ووجه الشبه: أن الإفاقة آية على عظيم قدرة الله تعالى مثل آية الإنامة. اهـ. أي كما جعل الله نومهم هذه المدة الطويلة آية عجيبة فكذلك جعل بعثهم أيضًا آية بليغة، وفي النوم والإفاقة دليل واضح على البعث والنشور.

«ليتساءلوا بينهم» أي: بعثناهم فتساءلوا: كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، هذا اجتهاد بعضهم، بينما كان البعض الآخر في شك من هذه الإجابة، فلهذا أسند العلم بحقيقة المدَّة إلى الله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وقولهم: فَابْعَثُوا أَحَدَكُم إشارة فيها حكمة وكأنهم يقولون: دعوا الخوض فيما لا علم لكم به، وانظروا فيما هو أهم، ألا وهو إرسال أحدكم بنقود من الفضة التي معكم ليجلب لكم طعامًا، وكأنهم استشرفوا إلى الإجابة على سؤالهم تأتي مع هذا الرسول الذي سيذهب لإحضار الطعام؛ لأنه سيطلع على القرية وأهلها وسيتعرف أخبارها وأحوال أهلها، ومن هنا يكتشفون مدة لبثهم بالتقريب، وقد كان ما توقعوا؛ فإن العملة التي كانت معهم كانت ترجع لزمن ذلك الملك الظالم الذي كان يجبر الناس على اتباع دينه الباطل، بينما تغيرت أحوال القرية الآن من الكفر إلى الإيمان، وذهب ذلك الزمن زمن الكفر والطغيان.

Upload by: altawhedmag.com

وقولهم: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩]:

إشارة إلى تحريهم الحلال الطيب من الطعام، وإيمانهم بأن الطعام رزق من الله ساقه إليهم بفضله ورحمته يستحق الشكر عليه حتى ولو دفعوا ثمنه من الفضة، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أطعمهم وسقاهم، وهذا مسلك المؤمنين، وفي قولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ فسَّره قولهم: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠]، فإن آخر عهدهم بالقرية قبل نومهم أنها قرية ظالم أهلها؛ يتبعون دين ملكهم الظالم وإذا علموا بخبر هؤلاء الفتية فسيكون المصير أحد أمرين: إما القتل في أبشع صوره وهو الرجم، أو عودتهم أي عودة الفتية في دين قومهم الذي فارقوهم بسببه وهو الشرك بالله، وعندئذ يكون هذا هو الخسران المبين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

هذا وإذا كان في إيقاظ الفتية من رقدتهم الطويلة آية لهم فهو أيضًا آية لمن عاصر الموقف وشاهد عودة هؤلاء الفتية إلى الحياة، وبعثهم من نومهم بعد أن سمعوا عن قصتهم التي كانوا يتناقلونها في مجالسهم وعن اختفائهم المفاجئ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

وهنا سكت القرآن الكريم عن بعض التفاصيل التي تُفهم من السياق، وانتقل بنا إلى موطن العبرة مباشرة، سكت القرآن الكريم عن كيفية عثور القوم على مكان هؤلاء الفتية، وهي أنهم لما أرسلوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليجلب لهم طعامًا طيبًا في نفسه وفي مصدره وليس مما قد حرمه الله، وذهب صاحبهم إلى المدينة، فعجب الناس من هيئته وعجب هو كذلك مما رأى من تغيير الأحوال، وكانت الدراهم التي معه عليها تاريخ ضربها وصورة الملك الظالم، وتسامع أهل المدينة بأمرهم -قيصر الصغير مع أساقفة وقسيسين وبطارقة من المدينة التي قالوا هي (أفسس) - وقالوا غير ذلك - فخرج الجميع خلف هذا الشاب الذي دلهم على مكان إخوانه ووصل الجميع إلى الكهف وسبقهم الفتى إلى إخوانه ونظر القوم إلى الفتية وكلموهم وآمنوا بآيتهم، ولما انصرفوا عنهم ماتوا في مواضعهم، وكانت آية صدق لدين المسيح الحق.

أقول: ترك القرآن هذه التفاصيل وانتقل بنا مباشرة إلى موطن العبرة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾. وكذلك أعثرنا أهل القرية على الفتية في كهفهم لتبرز أمامهم صورة من صور البعث حقيقة واقعة، وليتأكدوا أن البعث والحشر يوم القيامة لا شك فيه، قال العلامة ابن عاشور: «انتقل القرآن إلى جزء القصة الذي هو موضع عبرة أهل زمانهم بحالهم وانتفاعهم باطمئنان قلوبهم لوقوع البعث يوم القيامة بطريقة التقريب بالمشاهدة وتأييد الدين بما ظهر من كرامة أنصاره.

وقد كان القوم الذين عثروا عليهم مؤمنين، فكانت آيتهم آية تثبيت وتقوية إيمان؛ فالكلام عطف على قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ الآية». اهـ.

ثم أوضحت الآية الكريمة أن أهل القرية تنازعوا في شأن أصحاب الكهف أيتركونهم هكذا مع إحاطتهم ببناء يحفظ لهم هيبتهم ومكانتهم أم يبنون عليهم مسجدًا تعظيمًا لشأنهم؟ ويبدو أن الغلبة كانت لأصحاب هذا الرأي الأخير؛ لأنهم كانوا من المتقدمين أصحاب المال والسلطان.

القصة في كتاب الله

وهنا يقع سؤال: هل يجوز الاستدلال بما ورد هنا على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين؟ والإجابة: لا، لما ورد في السنة الصحيحة من النهي عن ذلك والوعيد الشديد لمن فعلوه

وهنا يقع سؤال: هل يجوز الاستدلال بما ورد هنا على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين؟ والإجابة: لا، لما ورد في السنة الصحيحة من النهي عن ذلك والوعيد الشديد لمن فعلوه، والأحاديث كثيرة نذكر منها حديثًا واحدًا على سبيل المثال لا الحصر، قال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [متفق عليه].

وقد توسع الإمام القرطبي في ذكر الأدلة في هذه المسألة كما أشار إليها الإمام ابن كثير وغيرهما من أهل العلم، والله الموفق والمستعان، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

اتبعوا ولا تبتدعوا

مقاصد الحكم الإسلامي وأثره على الفرد والمجتمع

إعداد/ معاوية محمد هيكل

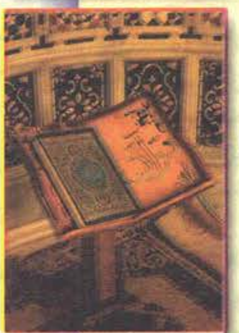
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن مقاصد الإسلام التي دلت عليها نصوص الشريعة هي تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، وهذا ما أكده المحققون من علماء الأمة، قال العز بن عبد السلام: «إن الشريعة كلها مصالح، إما درء مفاسد أو جلب مصالح».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها». [منهاج السنة النبوية: ١/٧٤١].

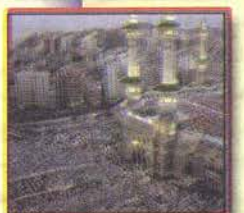


وقال ابن القيم رحمه الله: «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ ومصالح كلها وحكمة». [إعلام الموقعين: ٣/١].



ومقاصد الحكم في الإسلام لا يقدر على تحقيقها في واقع الناس إلا الحاكم؛ لما له من سلطان، فيتمكن به من تنفيذ ما يعجز عنه آحاد المسلمين، وبذلك نختَصر الطريق ونبلغ الهدف، ونحقق المراد، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

مقاصد الحكم:



قال أهل العلم في تعريف الإمامة «الخلافة»: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به». [الأحكام السلطانية للماوردي: ص٣]. يعني بذلك أن مقاصد الحكم في الإسلام تنحصر في مقصدين:

المقصد الأول: حراسة الدين:

ويقصد بالدين هنا بداهة الإسلام، فهو الدين المطلوب حراسته بالحكم، وحراسته تعني شيئين: حفظه وتنفيذه.

أولاً: حفظ الدين:

وحفظ الإسلام يعني إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار عليها هو وصحابته الكرام ونقلوها إلى الناس من بعده، وعلى هذا لا يجوز

Upload by: altawhedmag.com

أي تبديل أو تحريف في هذه الحقائق والمعاني، لأن التحريف والتبديل يدخلان في نطاق الابتداع والإحداث في دين الله، ولا يجوز التردد أبدًا في منع التبديل والتحريف بحجة حق الفرد في إبداء الرأي وحرية الفكر والاجتهاد، لأن الفرد إن كان مسلمًا فليس من حقه أن يبدل دين الله، وإذا اختار لنفسه الضلالة ولعقيدته الفساد فليس من حقه أبدًا أن يضل الآخرين أو يفسد عقائدهم، وإن كان الفرد غير مسلم فليس من حقه أبدًا أن يخرج على نظام دار الإسلام ويشوه حقائق الإسلام وإلا كان ناقضًا لعقد الذمة، ومع هذا فقد يقع المسلم في زيغ أو شبهة أو خطأ، نتيجة فهم سقيم أو تضليل خبيث، فيجب على ولي الأمر - الخليفة - أو نائبه، أن يعمل على كشف الشبهة وإظهار الصواب بالدليل والبرهان حتى يظهر الحق ويستبين السبيل وتقوم الحجة، فإن أصر المبطل على باطله وسعى إلى نشره في الناس منع من ذلك وأقيم عليه ما يوجبه الشرع.

وقد أشار الفقهاء إلى ما ذكرناه فقالوا: إن على الإمام «حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسًا من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل». [أبو يعلى الحنبلي ص١١].

ومن لوازم حفظ الدين: «تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرمًا ويسفكون فيها لمسلم أو معاهد دمًا». [الماوردي ص٤١].

والحقيقة أن دفع الأعداء عن دار الإسلام ضروري لحفظ الدين وبقائه؛ لأن استيلاء الكفرة على دار الإسلام ضياع للإسلام وطمس لحقائقه وفتنة عظيمة للمسلمين، وزعزعة لعقائدهم بسبب حكم الكفرة له وما يبذلونه لصرف المسلمين عن دينهم الحق بالوعد والوعيد والتلبيس والخداع والتضليل، بل نستطيع القول: إن من لوازم وتمام حفظ الدين إعلاءه وإظهاره على جميع أنظمة الكفر حتى لا يبقى للكفر حكم قائم ولا راية مرفوعة، وهذا ما أشار إليه الماوردي إذ يقول، وهو يعدد واجبات الإمام: «والسادس جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله». [الماوردي: ص٤١].

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [سورة التوبة:٣٣].







ثانيًا: تنفيذه:

وأما تنفيذ الدين «الإسلام»، فهو المظهر الثاني لحراسته، فيتحقق في أمور منها: تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع الدولة، وفي علاقة الدولة - دار الإسلام - مع غيرها من الدول، ومنها: حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية، ومنها: إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام، إذ لا يمكن الادعاء بحفظ الدين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المقصد من مقاصد الحكم الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

المقصد الثاني: سياسة الدنيا بالدين

والقول الجامع في سياسة الدنيا بالدين هو إدارة شئون الدولة والرعية على وجه يحقق المصلحة، ويدرأ المفسدة، وهذا يتم إذا كانت إدارة شئون الحياة وفقًا لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها بناءً على قواعد الاجتهاد السليم، فهذه هي السياسة الشرعية لأمور الدنيا بالدين، ومن أوجه هذه السياسة التي يضطلع بها الحكم الإسلامي ويلتزم بها الحاكم المسلم، والتي أشار إليها الفقهاء ما يأتي:

أولاً: إقامة العدل بين الناس

أول مظهر لسياسة الدنيا بالدين، الالتزام التام

Upload by: altawhedmag.com

مقاصد الإسلام التي دلت عليها نصوص الشريعة هي تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، وهذا ما أكده المحققون من علماء الأمة، قال العز بن عبد السلام: «إن الشريعة كلها مصالح، إما درء مفاسد أو جلب مصالح»

بالعدل في إدارة شئون الناس، وعدم الحيدة عنه مطلقًا؛ لأنه هو الأساس الذي لا قيام لدولة بدونه، ولا بقاء لأمة بفقده، ولهذا كان من صفة عقد البيعة للإمام أن يقال فيها: «بايعناك بيعة رضًا على إقامة العدل والإنصاف والقيام بفروض الإمامة». [أبو يعلى: ص٩].

والعدل يتضمن إعطاء كل إنسان حقه، وعدم ظلمه في شيء، فمن الظلم تكليفه بما لا يجب عليه شرعًا أو أخذ ماله بغير وجه حق، أو منعه ما يستحق، وهذا ما أشار إليه الفقهاء، فالفقيه الماوردي يقول - وهو يعدّد واجبات الإمام -: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًا واجتهادًا من غير عَسَف، وتقدير العطاء وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقصير فيه، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير. [الماوردي: ص٢١].

والعلاّمة ابن خلدون يوضح الظلم الممنوع فيقول: «ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب، كما هو المشهور، بل الظلم أعمّ من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد، أو غصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقًا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه؛ فجباة الأموال بغير حقها ظَلَمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران». [مقدمة ابن خلدون: ص٣٢٢].

وعلى هذا يجب على الخليفة أن يقوم بما يلزم لتحقيق العدل ومنع الظلم، وأول ما يلزم في هذا الباب اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء، والثاني مراقبتهم.

١- اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء؛ لأن الخليفة لا يستطيع أن يباشر أمور الدولة والقيام على مصالح الناس بنفسه؛ لأن ذلك فوق طاقته، وإنما يباشر أمور الناس بواسطة نوابه أي الموظفين الذين يختارهم، وذلك بتخير الكفء الأمين، ومرد الكفاءة إلى القدرة على ما يتولاه، ومرد الأمانة عدم التفريط بشئون ما ولي عليه من مهام، وقد أشار القرآن الكريم إلى قانون تولي الأمور الواجب مراعاته من كل حاكم، قال تعالى: إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ [القصص:٢٦]، فإذا وُفق الخليفة إلى حُسن اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء حكموا بالعدل وحفظوا حقوق الناس ومنعوا عنهم الظلم، وشعر الناس بالأمن والأمان والاطمئنان وارتدع أولو الأطماع وأهل البغي، ولا يجرؤ قوي أن يعتدي على ضعيف؛ لأن الدولة أقوى منه، وبذلك يأمن الضعفاء من عدوان الأقوياء.

وهذا كله يؤدي إلى كسب قلوب الناس وتوفيق صلتهم بالدولة وتعلقهم بالإمام، فيزداد حرصهم على بقاء دولتهم، واستعدادهم للذود عنها؛ لأنها في نظرهم كالبيت لهم وكالحارس لحقوقهم، أما إذا عين الخليفة الموظفين العاجزين والفاسدين والخائنين فإن الرعية سيكتوون بنار فسادهم، ويعانون من ظلمهم وبغيهم مما يؤدي إلى ضعف صلتهم بالدولة، فتكثر الثورات و الفتن وتنتشر الفوضى ويعم الفساد.

ولا يشفع للخليفة عند الناس كرهه لتصرفات ولاته الظلمة والفاسدين؛ لأن الناس يحملونه مسئولية أعمالهم؛ لأنه هو الذي ولاهم وأسند إليهم الأعمال، فلا يكفي كون الخليفة صالحًا في نفسه، بل لا بد من اختيار الأكفاء الأمناء، قال الماوردي عند بيان واجبات الإمام: «استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالأكفاء مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة».

٢- مراقبة الأمناء والأكفاء ومتابعتهم:

فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وحتى لو لم يخونوا ويغشوا فالوقوع في الأخطاء أمر غير مستبعد، وظلم الناس خطأ كظلمهم عمدًا من جهة حصول الضرر بالمظلوم وكراهيته للظالم، من هنا يأتي الدور المهم للمراقبة المستمرة والدائمة للموظفين حتى لا تقع خيانة أو غش، ويقل بذلك الخطأ ويعرف الناس شدة الخليفة على إقامة العدل ومنع الظلم، ويخرج هو من عهدة الخلافة ومسئولية

Upload by: altawhedmag.com

الحكم، وقد نبّه إلى ذلك الفقيه الحنبلي أبو يعلى فقال: «على الخليفة أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص:٢٦]، فلم يقتصر على التفويض دون المباشرة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» [متفق عليه].

يجب على الخليفة أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح أحوال الرعية بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح

ثانيًا: إشاعة الأمن والاستقرار:

ومن واجبات الخليفة المهمة، وكذلك حكام المسلمين جميعًا: إشاعة الأمن والاستقرار في ديار الإسلام؛ حتى يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وينتقلوا في البلاد آمنين مطمئنين، إن هذا المقصود يتحقق بصورة كاملة بتطبيق الشريعة الإسلامية، أي بتطبيق العقوبات الشرعية على العابثين بأمن الوطن والمعتدين على الناس، شريطة أن يكون التطبيق عادلاً وعلى الجميع سواء بلا تمييز ولا محاباة، فإذا ما طبقت الأحكام الشرعية على المعتدين والخارجين على القانون، أمن الناس، وخاف المجرم، وتحقق الاطمئنان.

وقد أشار الماوردي إلى ذلك قائلاً: «وعلى الخليفة إقامة الحدود لتُصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتُحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك».

ولا شك أن العقوبات الشرعية لها أثر بالغ وفعال في منع الإجرام وتحقيق الأمان في المجتمع، فهي من مظاهر رحمة الله بعباده.

فبها ينزجر الإنسان عن ارتكاب الجريمة، فيتخلص من الإثم، وإذا وقع في الجريمة فإن إقامة الحد له تطهير وكفارة، فالحدود كفارات، كما أن هذا العقاب للمجرم مصلحة مؤكدة للمجتمع لما يترتب عليه من اطمئنان للناس على حياتهم وأموالهم وإخافة المجرمين، وهذه المصلحة العامة يهون معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ما اقترفت يداه. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

ثالثًا: استثمار خيرات البلاد:

ومن مظاهر سياسة الدنيا بالدين: استثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية الاستقرار الاقتصادي والعيش الكريم، وقد أشار الفقهاء إلى هذا الواجب، فقد قال أبو يوسف في كتاب «الخراج» الذي وجّهه إلى الخليفة هارون الرشيد: إن على الخليفة أن يأمر بحفر الأنهار، وإجراء الماء فيها، وتحميل بيت المال وحده نفقات ذلك، وهذا نص كلامه: «فإذا اجتمعوا - أي أهل الخبرة - على أن في ذلك - أي في حفر الأنهار - صلاحًا وزيادة في الخراج أمرت بحفر تلك الأنهار، وجعلت النفقة من بيت المال، ولا تحمل النفقة على أهل البلد، وكل ما فيه مصلحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم وطلبوا إصلاح ذلك لهم، أُجيبوا إليه، إذا لم يكن فيه ضرر على غيرهم. وما ذكره أبو يوسف -رحمه الله- من ضرورة حفر الأنهار لأرض الخراج هو من قبيل التمثيل لا الحصر، يدل على ذلك عبارته: وكل ما فيه مصلحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم وطلبوا إصلاح ذلك لهم أُجيبوا إليه».

(وأرض الخراج: هي الأرض التي فتحها المسلمون وتركوها بيد أهلها على أن يدفعوا عنها ضريبة معينة تسمى: الخراج).

كما يمكن القياس على ما ذكره أبو يوسف في جميع الأعمال اللازمة لاستغلال ثروات البلاد وخيراتها على وجه يعود بالنفع العميم على الجميع، فهذه يجب القيام بها، مثل تنظيم الري في البلاد، وإقامة السدود، وتحسين الزراعة، واستخراج المعادن والبترول، وإقامة المصانع، وإصلاح الطرق التي تسهّل نقل المحاصيل، وإيجاد سبل العمل الشريفة للمواطنين، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها وعدها، وتختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف والأحوال.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



دراسات شرعية

أثر السياق

طرق الدلالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

تكلمنا عن ثلاثة أقسام من طرق الدلالة: دلالة العبارة، ودلالة الإشارة، ودلالة النص، وبقي القسم الرابع وهو دلالة الاقتضاء.

رابعًا: دلالة الاقتضاء:

تمهيد:

لقد بيَّن العلماء أن المعنى قد يُفهم ليس من مجرد الألفاظ التي رُكِّب منها النص، وإنما يقوم السامع بإضافة زيادة على تلك الألفاظ حتى يصير لها معنى سليم يرشد إليه سياق الكلام من خلال قرينة حال المتخاطبين أو من خلال قرينة توجبها صحة الكلام عقلاً، أو يوجبها صدق الكلام شرعًا، وبذلك فإن المعنى الذي يُفهم من هذا الكلام ليس هو ما تعنيه مجرد ألفاظه، وإنما هو المعنى الذي يُفهم بعد إضافة ألفاظ أو لفظ مقدَّر يوجب تقديره ضرورة صدق الكلام أو صحته شرعًا أو عقلاً، وكل ذلك يُعرف من خلال سياق الكلام.

وقد بيَّن العلماء أنه إذا كان صدق الكلام أو صحته الشرعية أو العقلية تتوقف على معنًى خارج عن اللفظ، قيل للدلالة على هذا المعنى المقدَّر «دلالة اقتضاء»؛ لأن استقامة الكلام تقتضي هذا المعنى وتستدعيه. [السياق وأثره ودلالات الألفاظ: د. عبد المجيد السوسوة ص٨٤].

١- تعريفها:

هي دلالة اللفظ على معنى لازم مقصود للمتكلم يتوقف عليه صدق الكلام، أو صحته العقلية، أو صحته الشرعية، وذلك يكون بتقدير محذوف.

- وقيل: هي: ما كان المدلول فيه مضمرًا إما لضرورة صدق المتكلم، وإما لصحة وقوع الملفوظ به.

أي: أن المدلول فيه مضمر، ولم يُنطق به، ولكن يكون من ضرورة اللفظ.

- فدلالة الاقتضاء لا تكون أبدًا إلا على محذوف دلَّ المقام عليه، وتقديره لا بدَّ منه؛ لأن الكلام دونه لا يستقيم، فالمعنى يقتضيها لا اللفظ.

٢- أنواع المقتضَى - بفتح الضاد -:

المعنى الزائد الذي يستدعيه النص، والذي يتوقف صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية على تقديره، ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يتوقف عليه صدق الكلام:

وهو ما يجب تقديره لضرورة صدق الكلام، وإلا لكان الكلام مخالفًا للواقع والحقيقة، أمثلة ذلك:

المثال الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه». [ابن ماجه ٢٠٤٥ وصححه الألباني].

[فائدة: المشهور في كتب الفقه والأصول: رُفع عن أمتي، وهو لم يصحّ بلفظ «رفع»، وقد خرَّجه ابن «الملقن» من ثمانية طرق، ثم ذكر: أنه بلفظ: «رُفع» ضعيف. [انظر البدر المنير: ٤/١٧٧- ١٨٣].

وكذا قال الزركشي: لا يوجد بهذا اللفظ، (رفع) وأقرب ما يوجد بلفظ رفع عن هذه الأمة ثلاث.. رواه ابن عدي في «الكامل»، وقال بنكارته «التذكرة في الأحاديث المشتهرة ١/٦٣».

- ظاهر الحديث يدل على أن كلاً من الخطأ والنسيان قد وُضعا عن الأمة، وأنهما لا يقعان فيها، وهذا لا يطابق الواقع؛ حيث إنه يقع في الأمة الخطأ والنسيان والإكراه، والرسول صلى الله عليه

Upload by: altawhedmag.com

في فهم النص

الحلقة (٢٨)



إعداد/ متولي البراجيلي

وسلم لا يخبر إلا صدقًا، ولأجل هذا لا بد من تقدير محذوف، وهو: «الإثم» أو «الحكم»، فيكون المعنى: إن الله وضع عن أمتي إثم الخطأ، وإثم النسيان، وإثم ما استُكرهوا عليه.

«فالإثم» مسكوت عنه في هذا المثال، وتوقف صدق الكلام – مطابقته للواقع – على تقديره، فيعد من مدلول الكلام بدلالة الاقتضاء.

المثال الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف (أي سلَّم) من اثنتين، فقال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم أنسَ ولم تُقْصَر، كل ذلك لم يكن.. [متفق عليه].

فظاهر كلام النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم ينسَ ولم تُقصر الصلاة، والواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم نسي وسلَّم من ركعتين، فلا بدَّ من تقدير محذوف في الكلام حتى يطابق الواقع، وهذا المحذوف هو: «في ظني» فيكون المعنى: لم أنسَ ولم تُقصر، كل ذلك لم يكن في ظني.

المثال الثالث: عن حفصة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من لم يبيِّت الصيام من الليل فلا صيام له. [النسائي ٢٣٣١ وصححه الألباني].

فإن ظاهر الحديث يدل على نفي وجود ذات الصيام إلا بعزم ونية، وهذا لا يطابق الواقع؛ لأن ذات الصيام وصورته قد يقع بدون نية، فلا بد من تقدير شيء زائد ليطابق الحديث الواقع وهو لفظ: «صحيح».

فيكون تقدير الكلام بعد الزيادة: من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام صحيح له.

فوائد:

١- «لا صيام له»: نكرة في سياق النفي، فتعم كل صيام (فرضًا كان أو نفلاً)، ولا يخرج من العموم إلا ما جاء الدليل بعدم اشتراط تبييت النية فيه من الليل.

– وقد ورد الدليل الخاص بعدم اشتراط تبييت النية من الليل في صيام النفل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: هل عندكم شيء؟ قلنا: لا، قال: فإني صائم، وفي رواية قال: إذن أصوم. (رواه البيهقي وقال: وهذا إسناد صحيح، انظر إرواء الغليل ٤/١٣٧).

٢- صيام الفرض كصوم رمضان، وصيام النذر، والكفارات، والقضاء، وهذا يبقى على أصل الحديث من وجوب تبييت النية من الليل.

٣- هل يجوز إحداث نية الصوم في أي وقت من النهار؟ اختلف العلماء في ذلك، فذهب الحنفية والشافعي في القديم إلى جواز إنشاء النية حتى وقت الزوال (الظهر)، وذهب الحنابلة والشافعي في الجديد إلى جواز ذلك في أي وقت من النهار، سواء كان قبل الزوال، أو بعده، ولعل ذلك هو الراجح لعدم وجود دليل صريح يفرّق ما بين قبل الزوال وما بعد الزوال.

النوع الثاني: ما توقف عليه صحة الكلام شرعًا:

أي ما وجب تقديره ضرورة تصحيح الكلام شرعًا، فيمتنع وجود الملفوظ به في النص شرعًا بدون ذلك المقتضى.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤]. فظاهر الآية يدل على أن المسافر يصوم عدة من أيام أخر، سواء صام في سفره أو لم يصم، والجمهور يقولون: إنه يوجد كلام مقدَّر، حتى يتضح معنى الآية، والكلام المقدّر هو: ومن كان مريضًا وعلى سفر – فأفطر – فعدة من أيام أخر.

[وهذا مثل ما في قصة موسى عليه السلام: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف:١٦٠]. هل المعنى: لما قلنا له: اضرب بعصاك الحجر انبجست، أو فضرب

Upload by: altawhedmag.com

إذا كان صدق الكلام أو صحته الشرعية أو العقلية تتوقف على معنًى خارج عن اللفظ، قيل للدلالة على هذا المعنى المقدّر «دلالة اقتضاء»؛ لأن استقامة الكلام تقتضي هذا المعنى وتستدعيه

فانبجست؟ فضرب فانبجست. فالتقدير حسب الاقتضاء أسلوب عربي، والقرآن جاء به].

ولكن الشرع دل على أن المسافر إذا أفطر في سفره فعليه القضاء في أيام أخر، أما إذا صام في سفره فلا موجب للقضاء عليه.

فيكون التقدير: أو على سفر - فأفطر - فعدة من أيام أخر.

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء:٩٢]: الذي هو في معنى الأمر، أي فحرروا رقبة، فهذا الأمر مقتضى بملك هذه الرقبة؛ لأن تحرير الحر لا يتصور، وكذا تحرير مِلك غيره عن نفسه، فملك الرقبة ثابت بالنص اقتضاء، فيكون التقدير: فتحرير رقبة (مملوكة لك).

المثال الثالث: قول الله تعالى ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾: فظاهر الكلام أن من به أذى من رأسه فعليه فدية، وهذا لا يصح شرعًا، فيكون الاقتضاء: أو به أذى من رأسه - فحلق شعره - ففدية.

النوع الثالث: ما يتوقف عليه صحة الكلام عقلاً:

أي ما وجب تقديره ضرورة لتصحيح الكلام من جهة العقل، فيمتنع وجود الملفوظ تعقلاً بدون ذلك المقتضى.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣]: فإن العقل يمنع من إضافة التحريم إلى ذات الأمهات، فوجب إضمار فعل يتعلق به الحكم - وهو هنا التحريم -، فوجب إضمار الوطء؛ نظرًا إلى أن العقل يقتضيه، فيكون التقدير: حرم عليكم وطء أمهاتكم.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة:٣]: فإن العقل يمنع من إضافة الحكم إلى ذات الميتة، فوجب عقلاً إضمار فعل يتعلق به التحريم، وهو هنا: الأكل. فيكون التقدير: حرم عليكم أكل الميتة.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [يوسف:٨٢]، فسؤال القرية لا يصح عقلاً إلا بتقدير: واسأل - أهل - القرية؛ لأن السؤال للتنبيه، وإذا كان كذلك فالمسئول يجب أن يكون من أهل البيان، فاقتضى الكلام تقدير «الأهل» ليصح ويستقيم.

وكذلك يقال في «العير» فيكون الاقتضاء: واسأل أصحاب العير.

٣- أركان الاقتضاء:

من تعريف الاقتضاء، وأقسامه، يكون للاقتضاء ثلاثة أركان:

أ- المقتضِي - بكسر الضاد: وهو النص، أو الكلام الذي يستلزم معنى مقدرًا.

ب- المقتضَى - بفتح الضاد -: وهو المعنى المزيد المقدر الذي طلبه واستلزمه - ضرورة - كلام الشارع، أو المتكلم لتصحيحه، وليستقيم معناه شرعًا أو عقلاً.

ج- الاقتضاء: وهو النسبة بينهما (أي بين المقتضِي والمقتضَى): أي: أن استدعاء المنطوق نفسه لذلك المقدر لحاجته إليه، ولعدم استقامة المعنى إلا بذلك التقدير والزيادة، ويسمى اقتضاء.

- فإن توفرت هذه الأمور في الكلام المراد استخراج حكم شرعي منه يكون ما ثبت به حكم المقتضى.

٤- هل للمقتضى عموم؟

- من معاني العموم: الشمول والتناول، يقال: عمَّ المطرُ البلادَ، إذا شملها فهو عامّ.

- والمقتضى: - كما ذكرنا - هو ما استدعاه صدق الكلام أو صحته من غير أن يكون مذكورًا في اللفظ، ولولاه لاختل أحدهما.

- والمراد بهذا المقتضى: أنه إن كان ثَمَّ تقديرات لتصحيح الكلام وصدقه، فإنه يضمرُ الكل، فيكون متناولاً لجميع ما يصح تقديره.

وإذا كان المقتضى عامًا يشمل أفرادًا كثيرين،

Upload by: altawhedmag.com

ولم يقم دليل على تعيين واحد منها، فهل ما قُدِّر لاستقامة المعنى، يعم جميع الأفراد التي في النص العام، أو هو يخص ما قُدِّر له فقط؟

ولقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول: أن المقتضى له عموم، وهو مذهب الشافعي وجمهور الحنابلة وآخرين، فقالوا: إن المقتضى بمنزلة النص في ثبوت الحكم، فإذا كان النص عامًا فالمقتضى أيضًا يكون عامًا.

- وأيضًا إن اللفظ في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «وضع عن أمتي الخطأ والنسيان..» يدل على رفع ذات الخطأ، وهذا متعذر، فوجب تقدير ما هو أقرب إلى رفع ذات الخطأ، وهو رفع جميع الأحكام.

الرأي الثاني: أن المقتضى لا عموم له، وهو مذهب الحنفية وبعض الشافعية، وذهب إليه جمهور الأصوليين، وقالوا: إن ثبوت المقتضى كان للضرورة فقط، فلو كان النص أو الكلام مقيدًا للحكم بدونه لم يصح إثباته لغة ولا شرعًا.

وإذا كان هو للضرورة، فالضرورة تُقدر بقدرها، ولا حاجة لإثبات العموم فيه ما دام الكلام مقيدًا بدونه، قياسًا على أكل الميتة، فإنه لما أُبيح للضرورة، قُدِّر بقدرها، وهو سدّ الرمق فقط، وما وراء ذلك من الحمل والتناول حتى الشبع، فلا يثبت حكم الإباحة فيه.

- أثر هذا الخلاف:

- ترتب على ذلك اختلافهم في بعض الأحكام والفروع الفقهية، ومنها على سبيل المثال:

أن من تكلم في صلاته ناسيًا أو مخطئًا أو ساهيًا عند أصحاب الرأي الأول (الذين يرون عموم المقتضى) لا تبطل صلاته، إذا كان الكلام قليلاً، واحتجوا بعموم المقتضى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «وضع عن أمتي الخطأ والنسيان»، فقالوا: إن الحكم الذي عفي عنه عام شامل للحكم الدنيوي، وهو عدم بطلان الصلاة، والحكم الأخروي وهو عدم الإثم والمؤاخذة، ولهذا الأصل قالوا: لا يقع طلاق المكره والمخطئ، ولا يفسد الصوم بالأكل مكرهًا أو مخطئًا أو ناسيًا.

- أما أصحاب الرأي الثاني (الذين يرون عدم عموم المقتضى): أن من تكلم في صلاته ناسيًا أو مخطئًا أو ساهيًا بطلت صلاته ولا إثم عليه، لكن عليه إعادة الصلاة مرة أخرى؛ حيث قالوا: إن قوله صلى الله عليه وسلم: «وضع عن أمتي الخطأ والنسيان» لا عموم له، فيكون المرفوع حكمًا واحدًا وهو: «الإثم» المقتضي للعقوبة في الآخرة، ولم يرفع الحكم الدنيوي، وهو الإعادة.

أجمعوا على أن قوله عليه الصلاة والسلام: وضع عن أمتي الخطأ والنسيان - أن هذا ليس في إتلاف الأموال وإنما المراد به رفع المأثم

فوائد:

١- أجمعوا على أن قوله عليه الصلاة والسلام: وضع عن أمتي الخطأ والنسيان - أن هذا ليس في إتلاف الأموال وإنما المراد به رفع المأثم. [الاستذكار لابن عبد البر ٤/٣٨٠].

٢- وكذلك من أتلف نفسًا بالخطأ، فإن عليه الضمان، يرفع عنه الإثم، ولكن لا يرفع عنه الضمان.

فإتلاف الأموال والأنفس لا يُعتبر فيه القصد بالنسبة للضمان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [النساء:٩٢].

[الموسوعة الفقهية ٤٢/٦، ٢٢٠/٤٥، شرح تنقيح الفصول للقرافي ٥٥/١، إجابة السائل للصغاني ٢٣٤/١، ٢٣٥، المهذب في علم أصول الفقه المقارن ١٧٢٧/٤، ١٧٣٣، تلخيص الأصول للزاهدي ١٥/١، مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ٢٨٢/١، ٢٨٣، معالم أصول الفقه للجيزاني ٤٤٧، كل ذلك بتصرف].

وللحديث بقية إن شاء الله.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة الخامسة

الشيعة حول الصحابة الأبرار

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن من الشبهات التي أثارها الشيعة حول الصحابة الأطهار احتجاجهم بما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر، قال صلى الله عليه وسلم: «هلم أكتب لكم كتابًا لا تضلون بعده». فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابًا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «قوموا» [متفق عليه].

وطعنهم في الصحابة من خلال هذه الرواية يتمثل في الآتي:

١- زعموا كذبًا أن عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر، وهذا كذب على عمر رضي الله عنه، بل إن الصحيح كما في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع، وكان مرضه صلى الله عليه وسلم شديدًا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوعك وعكًا شديدًا، فأشفق عليه، وقال: يا رسول الله، إنك توعك وعكًا شديدًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم». فقال ابن مسعود: «أذلك لأن لك الأجر مرتين؟» فقال: «نعم». رواه البخاري ومسلم.

ولذا لما سمع عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «هلم أكتب لكم كتابًا». أشفق على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع اتركوه، دعوه يرتاح، ثم بعد ذلك يكتب، وقال عمر رضي الله عنه مبينًا علة هذا القول: إن رب العالمين قد أكمل الدين، وأتم علينا النعمة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترك من صغيرة ولا كبيرة إلا بيّنها، كما عند ابن خزيمة قال صلى الله عليه وسلم: «والله ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله والجنة إلا وأخبرتكم به، وما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به، وما تركت شيئًا مما نهاكم الله عنه إلا قد نهيتكم عنه». [السلسلة الصحيحة: ٤١٧/٤].

وقد بَيَّنَ عليّ رضي الله عنه ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم كتابته؛ حيث قال رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأتيه بطبق يكتب فيه، فخشيت أن تذهب نفسه قبل أن آتيه بالكتاب، فقلت: يا رسول الله، إني أحفظ وأعي، فقال صلى الله عليه وسلم: «أوصيكم بالصلاة والزكاة، وما ملكت أيمانكم». [أحمد في المسند ٦٩٣].

هذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه، والرواية توضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليًا رضي الله عنه، فلماذا يلوم الشيعة الصحابة ولا يلومون عليًا؟!

والحقيقة أنه لا لوم على أحد من أصحاب النبي الأطهار، فالنبي صلى الله عليه وسلم صرح لعلي بما أراد أن يكتب، وهل سيكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبًا شرعيًا أمره الله بإبلاغه لأمته!! هذا محال؛ لأنه أمر بتبليغ ما أوحاه الله إليه، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

وخلاصة القول: أن الصحابة الأبرار امتنعوا شفقةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليّ رضي الله عنه حفظ ما كان يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه، بيد أن الشيعة لا يفقهون!!

ثانيًا: زعمهم أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا إلى العير والتجارة، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يخطب الجمعة؛ وذلك استنادًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١].

وهذا يدل على عدم اتباعهم لنبيهم، وقلة دينهم وإيمانهم، وللرد على هذه الفرية نقول: إن هذه الواقعة وقعت عندما كانت الصلاة مقدمة على

Upload by: altawhedmag.com

الخطبة، وذلك في أول الأمر، يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٩٣/٢): «ترجيح كون الانفضاض وقع في الخطبة لا في الصلاة هو اللائق بالصحابة الأبرار، وتحسينًا للظن بهم، وعلى تقدير كون الانفضاض وقع في الصلاة حُمل على أن ذلك وقع قبل النهي».

هذا أولاً، وثانيًا: أن الشيخين أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، كانا من الذين بقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن جابر رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائمًا؛ إذ قدمت عير إلى المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر، فنزل قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١] [مسلم ٨٦٣].

فماذا يقول الشيعة في عدم انفضاض أبي بكر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كبار الصحابة، كما تبيّن رواية البخاري في كتاب التفسير، حديث (٨٦٣).

ثالثًا: زعمهم أن الصحابة عادوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض، كما في الحديث.

وردًا على هذه الفرية نقول: إن ما وقع بين الصحابة من قتال؛ إنما وقع دون استحلال، وإنما عن تأويل واجتهاد، كما أن إطلاق لفظ الكفر في الحديث يعني عدم التشبه بفعل الكافرين أي لا تفعلوا فعل الكفار فتشابهوهم في قتل بعضهم لبعض.

يقول الحافظ ابن حجر: «وإطلاق الكفر على قتال المؤمن .. مبالغة في التحذير من ذلك؛ لينزجر السامع عن الإقدام عليه، وليس ظاهر اللفظ مرادًا أو أنه على سبيل التشبيه؛ لأن ذلك فعل الكافر». [الفتح: ٢٠/١٣، حديث رقم ٧٠٧٦، ٧٠٨٠].

وهناك أقوال أخرى للعلماء في بيان هذا الحديث، فمنهم من قال: لا ترجعوا بعدي كفارًا أي كفارًا بنعمة الله، أو المراد ستر الحق أو كفارًا بحرمة دماء المسلمين، وقال البعض: الحديث يُحمل على ظاهره في حال الاستحلال أي استحلال قتل المسلم لأخيه. [راجع الفتح: ٢٦٢/١].

يقول الإمام الآمدي في الإحكام: «الواجب أن يُحمل كل ما جرى بين الصحابة من الفتن على أحسن حال، وإن ذلك وقع بينهم باجتهاد كل فريق منهم في أن ذلك هو الأصلح للمسلمين والأوفق للدين».

ويقول الخطيب البغدادي في الكفاية: «لو لم يرد من الله ورسوله في الصحابة شيء لأوجب الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والعزة وبذل المُهَج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد

منهج أهل السنة: إحسان الظن بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإمساك عما شجر بينهم من خلاف وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض دنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه يأثم، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ

لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمزكين». [الكفاية في علم الرواية: ٩٦].

هذا فضلاً عن أن بعض كبار الصحابة وجمهورهم تأخر عن هذه الفتن، ولم يشاركوا فيها واعتزلوها.

فمن الصحابة الذين اعتزلوا الجمل وصفين سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، وعمران بن حصين، وأنس بن مالك، وأبو بكرة الثقفي، والأحنف بن قيس، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو موسى الأشعري، والوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو برزة الأسلمي، وسلمة بن الأكوع. [حقبة من التاريخ: ص١٠٧].

فما هو قول الشيعة في صحابة النبي الذين اعتزلوا الفتن ولم يشاركوا فيها؟!

وإليك أخي ما قاله الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم عن الدماء التي جرت بين الصحابة الأبرار: «واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في الوعيد؛ لأن مذهب أهل السنة: إحسان الظن بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإمساك عما شجر بينهم من خلاف وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض دنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه يأثم، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ؛ لأنه اجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه». [النووي: شرح مسلم ١١/١٨].

والله من وراء القصد.

Upload by: altawhedmag.com

واحة التوحيد

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

موقف نبي المسلمين وحاكمهم الأول من الدنيا

عن عبد الله بن مسعود رضي الله قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» [الترمذي ٢٣٧٧ وصححه الألباني].

من نور كتاب الله

موقف المسلم من غير المسلم

قال تعالي: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

من أقوال السلف

عن عمر بن عبد العزيز أنه قال في خطبته: ألا إن ما سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه فهو دين، نأخذ به وننتهي إليه، وما سن سواهما فإنا نُرْجِيه. أي: «نؤخره بعد أقوالهم». [كنز العمال].

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا. فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ» [مسلم ١٧٢].

من فضائل الصحابة

الاقتداء بهم وقبول أخبارهم

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَاقْبَلُوه» [الحاكم (٣/٧٩، رقم ٤٤٥٣) وصححه الألباني].

حكم ومواعظ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تنظروا إلى صلاة أحد ولا إلى صيامه ولكن انظروا إلى من إذا حدث صدق وإذا ائتمن أدى وإذا أشفى ورع. [شعب الإيمان ٦/٥١٢].

وعن عبد الكريم بن مالك، قال: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس. [الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا].

Upload by: altawhedmag.com

إعداد/ علاء خضر

تحذيرات نبوية..!

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَرَرْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي بأقوام تُقْرَض شِفَاهُهم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خُطباءُ أُمَّتك الذين يقولون ما لا يفعلون» [البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩/٤، رقم ٤٩٦٦) وصححه الألباني].

فضل شهر رجب!

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه.. حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، رويناه عنه بإسناد صحيح، وكذلك رويناه عن غيره. [تبيين العجب ابن حجر ص٦ وص٨].

من أساليب العرب

(لا أبا لك) وهو أكثر ما يُذكر في المدح: أي لا كافيَ لك غيرُ نفسك. وقد يُذكر في معرض الذم كما يُقال: لا أم لك، وقد يُذكر في معرض التعجب كقوله م: «لله درك»، وقد يذكر بمعنى جِدَّ في أمرك وشمِّر؛ لأن من له أبٌ اتَّكل عليه في بعض شأنه، وقد تحذف اللام فيُقال: «لا أباك» بمعناه. [اللطائف في اللغة].

من جوامع الأدعية

عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ» [سنن النسائي ١٣٠٤].

من عقائد أهل السنة والجماعة

عن أبي القاسم عبد الجبار قال: سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول، وقيل له متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة. ولا يسبَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف. ولا يكذِّب بالقدر. ولا يشك في الإيمان. ولا يماري في الدين. ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب. ولا يترك المسح على الخفين. ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جار أو عدل. [السنة للالكائي].

عمر بن عبد العزيز يزهد في الإمارة

لما تلقى عمر بن عبد العزيز خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمام الناس، فأتى ليتحدث فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكى الناس وقالوا: لا نريد إلا إياك، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من بالمسجد

Upload by: altawhedmag.com



بيوت في الجنة

إعداد/ صلاح عبد الخالق محمد

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعدُ:

فيا من تبحث عن مسكن مريح، قد تجده في الدنيا وتدفع فيه الكثير من الأموال حتى تشاهده في أبهى وأحسن صورة، وتفرح لذلك، ولكن يا أسفا يأتي هازم اللذات ومفرق الجماعات «الموت» فتخرج من هذا البيت! انظر كم من السنين ستعيش في هذا البيت؟ ولكن بيت في الجنة لا يكلفك الكثير من الأموال أو الأعمال وهو بيت تعيش فيه خالدًا مخلدًا في نعيم مقيم، دائم الأفراح بعيدًا عن الأتراح، يكفيك أن الملك عز وجل هو الذي أشرف على بنائه، هيا بنا نحاول أن نتسابق لبعض بيوت الجنة وصفات ساكنيها.

١- حُسن الخلق:

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». [حسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٤٦٤].

معنى «زعيم»: كفيل. والمعنى أن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تعهد وتكفل ببيت في الدرجات الأولى من الجنة لمن ترك المراء: الجدال، ولو كان صاحب حق؛ لأن ذلك يؤدي إلى النزاع والشقاق، وتكفل ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب في كل أموره حتى في المزاح، وببيت في أعلى الجنة لصاحب الخلق العالي الحسن.

٣- فاعل كل الخير:

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا عن الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت». [صحيح الجامع: ١٤٦٥].

النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة بشهادة رب العالمين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] يضمن ويتكفل ببيوت تكون لمن آمن به، وأسلم لله تعالى، وجاهد في سبيل الله بقدر طاقته، جاهد بنفسه وماله مخلصًا له تعالى.

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المجاهد من جاهد نفسه في الله». [صحيح الجامع: ٦٦٧٩]. وتكفل صلى الله عليه وسلم ببيت في أعلى غرف الجنة لمن هاجر إلى الله بفعل الطاعات وترك السيئات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه». [صحيح البخاري: ١٠]. فمن فعل ذلك لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا اقتحمه صادقًا في ذلك.

٣- بناء المساجد:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى مسجدًا لله تعالى يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيتًا في الجنة». أما لفظ الإمام البخاري: «بنى الله له مثله في الجنة». [متفق عليه].

وعن جابر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة أو أصغر، بنىَ الله له بيتًا في الجنة». [صحيح الجامع: ٦١٢٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «كمفحص قطاة أو أصغر» حمل أكثر العلماء ذلك على المبالغة؛ لأن المكان الذي تفحص القطاة عنه لتضع فيه بيضها وترقد عليه لا يكفي مقدار الصلاة فيه. [فتح الباري: ١/٦٤٩].

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال، لا تبخل وشيِّد لله مسجدًا لتنال الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة، وذلك أن الله يجعل من يصلي في هذا المسجد في ميزان حسناتك، بل ويكرمك بأن يبني لك بيتًا في الجنة، ألا تريد بيتًا في الجنة؟! يا هذا، بيوت الدنيا من طين وحجر وتراب وحديد وخشب وجريد وقصب،

Upload by: altawhedmag.com

إن لم يُكنس تكثر فيه القمامة، وإن لم يُسرج، فما أشد ظلامه وإن لم يتعاهد بالبناء، فما أسرع انهدامه وإن تعاهدته، فمآله إلى الخراب وعن قريب يصير كالتراب يتفرق عنه السكان، وتنتقل عنه القطان يعفو أثره ويندرس خبره ويُمحى رسمه ويُنسى اسمه، فأين أنت من دار باقية قصورها عالية أنهارها جارية، قطوفها دانية، أفراحها متوالية، لبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا تعب فيها كلا ولا نصب وملاطها المسك الأذفر، فهل سمعت عن ملاط من مسك وحصباؤها اللؤلؤ والجواهر، فمن بنى لله بيتًا، بنى الله له بيتًا في الجنة، والجزاء من جنس العمل. [الجزاء من جنس العمل: ١/ ٤٨٤].

٤- سد فرجة في الصف:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سد فرجة رفعه الله بها درجة، وبُنِيَ له بيت في الجنة». [السلسلة الصحيحة: ١٨٩٢].

فخطوة لسد فرجة في الصف أعظم خطوة؛ لأنها أعظم أجرًا ترفع بها درجة في الجنة، ويُبنى لك بيتٌ في الجنة.

٥- صلاة الرواتب:

عن عمرو بن أوس قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يُتسار إليه، قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهنّ بيت في الجنة». قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. [مسلم ٧٢٨].

فهؤلاء الصحابة عندما سمعوا هذا الحديث لم يتركوا العمل به، فماذا تقول أنت لنفسك عندما قرأت هذا الحديث! قال الإمام النووي: قوله: يتسار إليه: أي يُسر به من السرور؛ لما فيه من البشارة مع سهولتها.

متى تصلى الرواتب؟

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة، بُني له بيت في الجنة؛ أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر». [صحيح ابن ماجه: ١١٤١].

٦- صلاة الضحى:

عن أبي موسى رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا، بُني له بيت في الجنة». [صحيح الجامع: ٦٣٤٠].

ينبغي للإنسان أن يختتم عمره بصالح الأعمال؛ لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت إن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب فيها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله، فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها فانتهز الفرصة

من فوائد صلاة الضحى:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار». [مسلم ١٠٠٧].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى». [مسلم ٧٢٠].

وعن بريدة رضي الله عنه: «فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك». [صحيح الترغيب: ٦٦٤].

قال الإمام النووي: وفيه دليل عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين. [شرح مسلم: ٢٧٣/٢].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (ويجزئ من ذلك) يعني بدلاً عن ذلك يجزئ ركعتان يركعهما في الضحى هذه نعمة كبيرة بدلاً من أن تُطالب عن كل عضو من أعضائك بصدقة يكفيك أن تصلي ركعتين من الضحى، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يواظب عليهما أي ركعتي الضحى حضرًا وسفرًا وأقلها ركعتان، ولا حد لأكثرها، صلِّ ما شئت، فينبغي للإنسان أن يختتم عمره بصالح الأعمال؛ لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت إن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب فيها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله، فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها فانتهز الفرصة. [شرح رياض الصالحين: ٢٥٦/٣].

٧- زيارة المريض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله، ناده منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً». [صحيح الجامع: ٦٣٨٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المسلم إن عاد أخاه لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع». [صحيح مسلم]. ومعنى عاد أي زار.

والحمد لله رب العالمين

Upload by: altawhedmag.com

صفوف الصلاة فضائل وأحكام

(الحلقة الأولى)

إعداد/ أيمن دياب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،،

فيا أيها القارئ الكريم اعلم أن الله تعالى شرع للمسلمين إذا صلَّوا جَماعة أن يصفُّوا صفوفًا مُنتظمة، ولعل من حكمها وَمَقاصدها أنْ تُذكّر المسلمين بما يَنبغي أنْ يكونوا عليهِ من الإلفةِ والاجتماعِ والاتفاقِ على الحقِ والخيرِ؛ حتى يكونوا كالجسدِ الواحدِ.

وشَرع لهذه الصفوف فضائل وأحكامًا كثيرة نحن في أمسّ الحاجة إلى العلم بها والفقه فيها؛ لأننا مأمورون أن نصلي جماعة خمس مرات في كل يوم وليلة، ولأنه لا تَتمُّ إقامةُ الصَّلاة إلا بإقامة الصُّفوف؛ لذلك جاءت الأحاديث تترى في تقرير هذا، تارةً بالتَّرغيب في إقامة الصُّفوف وإحسانها، وتارةً بالتَّرهيب من التَّفريط فيها، ونحن نسوق الموضوع في النقاط التالية:

(١) تَعْرِيفُ الصَّفِّ في اللُّغَة:

هو السَّطْرُ الْمُسْتَقيمُ مِنْ كُل شَيْء، وَالْقَوْمُ الْمُصْطَفُّونَ وَجَعْلُ الشَّيْء - كَالنَّاس وَالأَشْجَارِ وَنَحْوِ ذَلكَ - عَلَى خط مُسْتَوٍ، وَمنْهُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وَصَافَ الْجَيْش عَدُوَّهُ: قَاتَلَهُ صُفوفا، وَتَصَافَ الْقَوْمُ: وَقَفُوا صُفوفًا مُتَقَابلَةً. [انظر: لسان العرب، المصباح المنير، مادة (صف)]. انتهى.

وَلا يَخْرُجُ مَعْنَاهُ الاصْطلاَحيُّ عَنْ مَعْنَاهُ اللُّغَويِّ.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: «وَالْمُرَادَ بتَسْويَة الصُّفُوف: اعْتدَال الْقَائمينَ بهَا عَلَى سَمْت وَاحد، أَوْ يُرَادُ بهَا سَدَّ الْخَلَلِ الَّذي في الصَّف» [انظر: فتح الباري (٢/٢٠٧)].

(٢) تَرْتِيبُ الصُّفُوف:

عَنْ أَبي مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «ليَلنِي منْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ» [مسلم ٤٣٢].

وعَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «ليَلنِي منْكُمْ أُولُو الأَحْلاَم وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ - ثَلاَثًا - وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاق» [مسلم ١٢٣]، ففي هذا الحديث ترتيب الصفوف على حسب الأفضلية خلف الإمام: الرجال، ثم الصبيان، ثم النساء، ما لم يسبق الصبيان إلى الصفوف الأول، أو يمنع مانع، فإن سبقوا فهم أولى بها، أما إذا كان المأموم واحدًا، فإنه يقف على يمين الإمام؛ لحديث ابْن عَبَّاس رضي الله عنه قَالَ: «قَامَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلي منَ اللَّيْل، فَقُمْتُ أُصَلي مَعَهُ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَاره، فَأَخَذَ برَأْسي فَأَقَامَني عَنْ يَمينه» [متفق عليه].

وإذا كان المأمومون اثنين وقفا خلفه؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفيه: «جئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَار رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَ بيَدي فَأَدَارَني حَتَّى أَقَامَني عَنْ يَمينه، ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْر فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَار رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بيَدَيْنَا جَميعًا فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ» [مسلم ٧٦٦].

وإذا كانت امرأة واحدة وقفت خلف الرجال، لحديث أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه وفيه: «فَأَقَامَني عَنْ يَمينه، وَأَقَامَ الْمَرْأَةَ خَلْفَنَا» [متفق عليه].

وإذا كان المأمومون امرأتين ورجلاً، وقف الرجل على يمين الإمام، والمرأتان خلف الإمام لرواية أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه وفيها: «ثُمَّ قَامَ فَصَلى بنَا رَكْعَتَيْن تَطَوُّعًا، فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَأُمُّ حَرَام خَلْفَنَا. قَالَ: «أَقَامَني عَنْ يَمينه عَلَى بسَاط» [صحيح سنن أبي داود ٦٠٨].

(٣) حكم تسوية الصفوف:

عَنْ النُّعْمَان بْن بَشير رضي الله عنه قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقولَ: «لَتُسَوُّنَّ صُفوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهكُمْ» [متفق عليه]، وفي لفظ لمسلم: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُسَوِّي صُفوفَنَا

Upload by: altawhedmag.com

حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللَّهِ، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ» [متفق عليه]، وظاهر هذه الأحاديث وجوب تسوية الصفوف.

(٤) حُكْمُ تَسْوِيَةِ الصَّفِّ: اخْتُلِفَ فيه على قولين:

الأول: ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ بِحَيْثُ لَا يَتَقَدَّمُ بَعْضُ الْمُصَلِّينَ عَلَى الْبَعْضِ الآخَرِ، وَيَعْتَدِل الْقَائِمُونَ فِي الصَّفِّ عَلَى سَمْتٍ وَاحِدٍ مَعَ التَّرَاصِّ.

الثاني: وهو الراجح للأدلة، ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ - مِنْهُمُ الأئمة البخاري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حزم، وابن خُزيمة، والحافظ المنذري، والحافظ ابن حجر، والشوكاني، والصنعاني، وابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رحمهم الله- إلى وُجُوبِ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ» [متفق عليه]، فَإِنَّ وُرُودَ هَذَا الْوَعِيدِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ التَّسْوِيَةِ، وَالتَّفْرِيطُ فِيهَا حَرَامٌ؛ وَلِأَمْرِهِ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ وَأَمْرُهُ لِلْوُجُوبِ مَا لَمْ يَصْرِفْهُ صَارِفٌ، وَلَا صَارِفَ هُنَا.

قَالَ الحافظ ابْنُ حَجَرٍ -رحمه الله-: تحت حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه لما قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا أَنْكَرْتَ مِنَّا مُنْذُ يَوْمِ عَهِدْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا أَنْكَرْتُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّكُمْ لَا تُقِيمُونَ الصُّفُوفَ». [البخاري٧٢٤]، وَمَعَ الْقَوْلِ بِأَنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ وَاجِبَةٌ، فَصَلَاةُ مَنْ خَالَفَ وَلَمْ يُسَوِّ صَحِيحَةٌ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ: أَنَّ أَنَسًا مَعَ إِنْكَارِهِ عَلَيْهِمْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ. [انظر: فتح الباري ٢/٢٠٦].

ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم في تسوية الصفوف متعددة:

وعلى الإمام الإتيان بها، ومن الأفضل عدم الزيادة عليها، فخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

الأول: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا» رواه البخاري ح (٧١٩) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه.

الثاني: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ» متفق عليه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه.

الثالث: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» رواه مسلم ح (٤٣٣) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه.

قال العلامة ابن عثيمين- رحمه الله-: «المقصود بالتمام هنا تمام الكمال على القول الراجح». [كتب ورسائل للعثيمين ١٠/١٨١].

الرابع: «أَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ» رواه مسلم ح (٤٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي-رحمه الله-: «والمراد: أن الصف إذا أقيم في الصلاة كان ذلك من حسنها، فإذا لم يُقم نقص من حسنها بحسب ما نقص من إقامة الصف» [فتح الباري لابن رجب ٤/٢٥٩].

الخامس: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» رواه مسلم ح (٤٣٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

السادس: «أَتِمُّوا الصُّفُوفَ» رواه مسلم ح (٤٣٤) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه بلفظ: «أَتِمُّوا الصُّفُوفَ فَإِنِّي أَرَاكُمْ خَلْفَ ظَهْرِي».

السابع: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ» رواه البخاري ح (٧٢٥) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه بلفظ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ فَإِنِّي أَرَاكُمْ خَلْفَ ظَهْرِي».

الثامن: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ - ثَلَاثًا» صحيح سنن أبي داود ح(٦٦٢) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه بلفظ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِوَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ - ثَلَاثًا - وَاللَّهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ». قَالَ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ، وَمَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِهِ.

التاسع: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ» صحيح سنن أبي داود ح(٦٦٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ الإمام أَبُو دَاوُدَ -رحمه الله- وَمَعْنَى: «وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ». إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفِّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُلِينَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مَنْكِبَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ.

العاشر: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ» صحيح سنن أبي داود ح(٦٦٧) عَنْ أنس رضي الله عنه:«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ».

الحادي عشر: «أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ» صحيح سنن أبي داود ح(٦٧١) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه.

الثاني عشر: «اسْتَوُوا، اسْتَوُوا، اسْتَوُوا» صحيح النسائي ح(٨١٣) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه.

الثالث عشر: «لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» صحيح سنن أبي داود ح(٦٦٤) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه.

الرابع عشر: «أَحْسِنُوا إِقَامَةَ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ» صحيح الجامع ح (١٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الخامس عشر: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ» رواه مسلم ح (٤٣٠) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه.

Upload by: altawhedmag.com

السادس عشر: «إنَّ من تَمام الصَّلاة إقامَةَ الصَّف» صحيح الجامع ح (٢٢٢٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبدَ الله رضي الله عنه.

قال الإمام زين الدين العراقي-رحمه الله-: ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى إقامَةِ الصَّف أُمُورًا:

(أَحَدُهَا) حُصُولُ الاسْتِقامَةِ وَالاعْتِدالِ ظاهِرًا كَمَا هُوَ الْمَطْلُوبُ بَاطِنًا.

(ثانيها) لِئَلاَّ يَتَخَلَّلَهُمْ الشَّيْطانُ فَيُفْسِدَ صَلاتَهُمْ بِالْوَسْوَسَةِ.

(ثَالِثُهَا) مَا فِي ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ الْهَيْئَةِ.

(رَابِعُهَا) أَنَّ فِي ذَلِكَ تَمَكُّنَهُمْ مِنْ صَلاتِهِمْ مَعَ كَثْرَةِ جَمْعِهِمْ، فَإِذَا تَرَاصُّوا وَسِعَ جَمِيعَهُمْ الْمَسْجِدُ، وَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ضَاقَ عَنْهُمْ.

(خامسُهَا) أَنْ لا يَشْغَلَ بَعْضُهُم بَعْضًا بِالنَّظَرِ إلَى مَا يَشْغَلُهُ مِنْهُ إذَا كَانُوا مُخْتَلِفِينَ، وَإِذَا اصْطَفُّوا غَابَتْ وُجُوهُ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ وَكَثِيرٌ مِنْ حَرَكَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا يَلِي بَعْضُهُمْ مِن بَعْضٍ ظُهُورَهُمْ. [انظر: طرح التثريب (٢/٥٣٠)].

وَمِنْ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ: إكْمَالُ الصَّفِّ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، وَأَنْ لا يُشْرَعَ فِي إنْشَاءِ الصَّفِّ الثَّانِي إلاَّ بَعْدَ كَمَالِ الأَوَّلِ، وَهَكَذَا. وَهَذَا مَوْضِعُ اتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ» [صحيح الجامع (١٢٢)].

وَعَلَيْهِ فَلا يَقِفُ فِي صَفٍّ وَأَمَامَهُ صَفٌّ آخَرُ نَاقِصٌ أَوْ فيه فُرْجَةٌ، بَل يَشُقُّ الصُّفُوفَ لِسَدِّ الْخَلَلِ أَوِ الْفُرْجَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الصُّفُوفِ الَّتِي أَمَامَهُ، وَيُسْتَحَبُّ الاعْتِدَالُ فِي الصُّفُوفِ، فَإِذَا وَقَفُوا فِي الصَّفِّ لا يَتَقَدَّمُ بَعْضُهُمْ بِصَدْرِهِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلا يَتَأَخَّرُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَيُسَوِّي الإمَامُ بَيْنَهُمْ. فَفِي صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ الله عنه كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَأْتِي نَاحِيَةَ الصَّفِّ، وَيُسَوِّي بَيْنَ صُدُورِ الْقَوْمِ وَمَنَاكِبِهِمْ، وَيَقُولُ: «لاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأَوَّلِ» صحيح الترغيب والترهيب ح(٥١٣)؛ وَلِلأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ. [انظر: الموسوعة الفقهية ٢٧/٣٦] بتصرف.

قال الإمام النَّوَوِيُّ-رحمه الله-: «وَاسْتِحْبَابُ الصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ الَّذِي يَلِيه، ثُمَّ الَّذِي يَلِيه إلى آخرها - هَذَا الْحُكْمُ مُسْتَمِرٌّ فِي صُفُوفِ الرِّجَالِ بِكُلِّ حَالٍ، وَكَذَا فِي صُفُوفِ النِّسَاءِ الْمُنْفَرِدَاتِ بِجَمَاعَتِهِنَّ عَنْ جَمَاعَةِ الرِّجَالِ، أَمَّا إذَا صَلَّتْ النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ جَمَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ، فَأَفْضَلُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا». [المجموع ٤/٣٠١].

وقال العلامة ابن عثيمين-رحمه الله-: «وتسوية الصَّف تكون بالتساوي، بحيث لا يتقدَّم أحدٌ على أحد».

(٥) المراد بتسوية الصفوف:

ثم إن تسوية الصَّف المتوعَّد على مخالفتها في قوله صلى الله عليه وسلم: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ» [متفق عليه] هي تسويته بالمحاذاة، ولا فَرْقَ بين أن يكون الصَّف خلف الإمام أو مع الإمام، وعلى هذا؛ فإذا وقف إمامٌ ومأموم فإنه يكون محاذيًا للمأموم، ولا يتقدَّم عليه، خلافًا لمن قال من أهل العلم: إنه ينبغي تقدُّم الإمام على المأموم يسيرًا؛ ليتميَّز الإمامُ عن المأموم.

وهناك تسوية أخرى بمعنى الكمال؛ يعني: الاستواء بمعنى الكمال كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤]، أي: كَمُلَ، فإذا قلنا: استواءُ الصَّف بمعنى كماله؛ لم يكن ذلك مقتصرًا على تسوية المحاذاة، بل يشمل عدَّة أشياء:

- تسويةَ المحاذاة، وهذه على القول الرَّاجح واجبة، وقد سبقت.

- التَّراصَّ في الصَّف، فإنَّ هذا من كماله، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك، ونَدَبَ أمَّتَهُ أن يصفوا كما تصفُّ الملائكة عند ربِّها، يتراصُّون ويكملون الأول فالأول، ولكن المراد بالتَّراصِّ أن لا يَدَعُوا فُرَجًا للشياطين، وليس المراد بالتَّراص التَّزاحم؛ لأن هناك فرقًا بين التَّراصِّ والتَّزاحم؛ ولهذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «أقيمُوا الصُّفوف، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِب... وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَات للشَّيْطَان...» [صحيح الجامع (١١٨٧)] أي: لا يكون بينكم فُرَج تدخل منها الشياطين؛ لأن الشياطين يدخلون بين الصُّفوف كأولاد الضأن الصِّغار [صحيح الترغيب والترهيب ح (٤٩١)]؛ من أجل أن يُشوِّشوا على المصلين صلاتهم.

- إكمالَ الأول فالأول، فإنَّ هذا من استواء الصُّفوف، فلا يُشرع في الصَّف الثاني حتى يَكمُلَ الصَّف الأول، ولا يُشرع في الثالث حتى يكمُل الثاني وهكذا. ومن لَعِبِ الشيطان بكثير من الناس اليوم: أنهم يرون الصفَّ الأول ليس فيه إلا نصفُه، ومع ذلك يشرعون في الصف الثاني، ثم إذا أقيمت الصلاة، وقيل لهم: أتموا الصف الأول، جعلوا يتلفَّتون مندهشين، وكل ذلك في الحقيقة له أسباب، منها:

أولا: الجهل العظيم.

وثانيًا: أن بعض الأئمة لا يبالون بهذا الشيء، أي: بتسوية المأمومين، وتراصِّهم وتكميل الأول فالأول. وهاهنا حديث مشهور بين النَّاس، وليس له أصل وجب التنبه عليه وهو: «إنَّ اللَّهَ لاَ ينظرُ إلى الصَّف الأعوج».

- ومن تسوية الصُّفوف: التقاربُ فيما بينها، وفيما بينها وبين الإمام؛ لأنهم جماعة، والجماعة مأخوذةٌ من الاجتماع؛ ولا اجتماع كاملاً مع التباعد، فكلما قَرُبَت الصُّفوف بعضها إلى بعض، وقَرُبَت إلى الإمام كان أفضل وأجمل، ونحن نرى في بعض المساجد أنَّ بين الإمام وبين الصَّف الأول ما يتَّسع لصف أو صفين، أي: أنَّ الإمام يتقدَّم كثيرًا، وهذا

Upload by: altawhedmag.com

فيما أظنُّ صادر عن الجهل، فالسُّنَّةُ للإمام أن يكون قريبًا من المأمومين، وللمأمومين أن يكونوا قريبين من الإمام، وأن يكون كل صف قريبًا من الصَّف الآخر.

- وحَدُّ القُرب: أن يكون بينهما مقدار ما يَسَعُ للسُّجود وزيادة يسيرة.

- ومن تسوية الصُّفوف وكمالها: أن يدنوَ الإنسانُ من الإمام؛ لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:«لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى» [مسلم ٤٣٢]، وكلما كانَ أقربَ كان أولى، ولهذا جاء الحث على الدُّنوِّ من الإمام في صلاة الجمعة؛ لأن الدُّنوَّ من الإمام في صلاة الجمعة يحصُل به الدُّنو إليه في الصَّلاة، وفي الخطبة، فالدُّنُو من الإمام أمرٌ مطلوب، وبعض الناس يتهاون بهذا؛ ولا يحرِصُ عليه.

- ومن تسوية الصُّفوف: تفضيل يمين الصف على شماله، يعني: أنَّ أيمن الصَّف أفضل من أيسره، ولكن ليس على سبيل الإطلاق؛ كما في الصَّف الأول؛ لأنَّ اليمين أفضل مع التقارب؛ أما مع التَّباعد فلا شك أنَّ اليسار القريب أفضل من اليمين البعيد.

- ومن تسوية الصُّفوف: أن تُفرد النِّساءُ وحدَهن؛ بمعنى: أن يكون النِّساءُ خلف الرِّجال، لا يختلط النِّساء بالرِّجال؛ إذ الأفضل أن تُؤخِّر النِّساءُ عن صفوف الرِّجال؛ لما في قُربهنَّ إلى الرِّجال من الفتنة. وأشَدُّ من ذلك اختلاطُهنَّ بالرِّجال، بأن تكون المرأةُ إلى جانب الرَّجُل، أو يكون صف من النساء بين صُفوف الرِّجال، وهذا لا ينبغي، وهو إلى التحريم مع خوف الفتنة أقربُ» [انظر: الشرح الممتع (١٠،١٥/٣) بتصرف].

(٥) فضل الصَّف الأوَّل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ» [متفق عليه].

وَعَنْهُ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ، مَا كَانَتْ إِلاَّ قُرْعَةً» [مسلم ٤٣٩].

وَعَنْهُ رضيَ الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:«لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ لَكَانَتْ قُرْعَةً» [صحيح ابن ماجه ح (٩٩٨)].

قَالَ الإمام النَّوويّ-رحمه الله-: وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في الصَّفِّ الأَوَّلِ مِنْ الفَضِيلَة، وَجَاءُوا إِلَيْهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَضَاقَ عَنْهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَسْمَح بَعْضهمْ لِبَعْضٍ بِهِ، لاقْتَرَعُوا عَلَيْهِ. وَفِيهِ إِثْبَاتُ القُرْعَةِ فِي الحُقُوقِ الَّتِي يَزْدَحِم عَلَيْهَا وَيُتَنَازَعُ فِيهَا. [شرح مسلم ١٨٠/٢].

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ الله عنه قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لَابْتَدَرْتُمُوهُ» [صحيح سنن أبي داود ح (٥٥٤)]. أي في القرب من الله عز وجل، ونزول الرحمة، وإتمامه واعتداله، ويُستفاد منه أن الملائكة يصفون لعبادة الله تعالى. [الفتح الرباني ١٧١/٥].

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ» [صحيح ابن ماجه ح (٩٩٧)].

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ ثَلَاثًا، وَعَلَى الَّذِي يَلِيه وَاحِدَةً» [صحيح النسائي ح (٨١٧)].

وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم: «كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِلصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثًا، وَلِلثَّانِي مَرَّةً» [صحيح ابن ماجه ح (٩٩٦)].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي الْحَضِّ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ الْمُسَارَعَة إِلَى خَلَاصِ الذِّمَّة، وَالسَّبْقُ لِدُخُولِ الْمَسْجِد، وَالْفِرَارُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَالْقُرْبُ مِنْ الإِمَامِ، وَاسْتِمَاعِ قِرَاءَتِه وَالتَّعَلُّم مِنْهُ، وَالْفَتْحِ عَلَيْه، وَالتَّبْلِيغ عَنْهُ وَمُشَاهَدَة أَحْوَاله، وَالسَّلَامَة مِنْ اخْتِرَاقِ الْمَارَّة بَيْنَ يَدَيْه، وَسَلَامَة الْبَال مِنْ رُؤْيَة مَنْ يَكُونُ قُدَّامَهُ، وَسَلَامَة مَوْضِع سُجُوده مِنْ أَذْيَالِ الْمُصَلِّين؛ وَالتَّعَرُّض لِصَلَاةِ اللهِ وَمَلَائِكَتِه، وَدُعَاءِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَغَيْرُ ذَلِكَ. [انظر: فتح الباري (٢٤٤/٢) بتصرف، والموسوعة الفقهية الكويتية ٣٨/٢٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» [مسلم ٤٤٠]، واتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ أَفْضَل صُفُوفِ الرِّجَالِ - سَوَاءٌ كَانُوا يُصَلُّونَ وَحْدَهُمْ أَوْ مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ - هُوَ الصَّفُّ الأَوَّلُ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيه، ثُمَّ الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ، وَكَذَا أَفْضَل صُفُوف النِّسَاءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُنَّ رِجَالٌ. أَمَّا النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ فَأَفْضَل صُفُوفِهِنَّ آخِرُهَا؛ لأَنَّ ذَلِكَ أَلْيَقُ وَأَسْتَرُ.

وقال النووي - رحمه الله -: ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ الصَّفَّ الأَوَّلِ الْمَمْدُوحَ الَّذِي وَرَدَت الأَحَادِيثُ بِفَضْله هُوَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِي الإِمَامَ، سَوَاءٌ تَخَلَّلَهُ مِنْبَرٌ أَوْ مَقْصُورَةٌ أَوْ أَعْمِدَةٌ أَوْ نَحْوُهَا، وَسَوَاءٌ جَاءَ صَاحِبُهُ مُقَدَّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا، هَذَا هُوَ الصَّحِيح الَّذِي يَقْتَضِيه ظَوَاهِر الأَحَادِيث، وَصَرَّحَ بِه الْمُحَقِّقُونَ. وَاللهُ أَعْلَم. [انظر: شرح مسلم (١٨٣/٢) بتصرف، والموسوعة الفقهية الكويتية ٣٨/٢٧].

وللحديث بقية إن شاء الله في العدد القادم.

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الفتنة المقنعة

إعداد/ صلاح عبدالمعبود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعدُ:

فإن الجاهلية التي حلت بواقع المسلمين، وتغلغلت في شتى مناحي حياتهم، وصنعت معظم تقاليدهم وعاداتهم، قد دخلت بلاد الإسلام وهي مقنّعة متخفية تحت أثواب براقة خُدع بها من لا فقه لهم في دينهم، ولا علم ولا بصيرة، فظنوها من الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان، واحتجوا بأنه يسر لا عسر فيه، وأنه مرن يتسع لكل جديد ومتطور، والحق الواضح الذي لا لبس فيه أن الدين يسر عندما نأخذه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لا من أفواه المخدوعين والمنافقين الذين تربوا على موائد الشرق والغرب، إنه يسر عندما نعيشه بصفائه وكماله كما عاشه صدر الأمة الأول جهادًا وتضحية وشجاعة ومروءة وعفافًا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

لقد تعرض جسد الأمة لكثير من الطعنات المسمومة الحاقدة من أعداء الله ورسوله الموتورين الحاقدين، ولكنهم فشلوا جميعًا في تحقيق ما أرادوه وكتب الله عليهم الخزي والعار وخرجوا من بلاد المسلمين يجرون أذيال الخيبة والهزيمة والنكسة، والتاريخ شاهد على أن أرض المسلمين كانت على الدوام مقبرة للغزاة والطامعين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦].

وما دام الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وما دام الصراع دائمًا بين الحق والباطل لحكمة الله البالغة، فأعداء الأمة لا يدبّ إلى قلوبهم اليأس، وكانوا أشبه بالنار المستعرة تحت الرماد، فأعملوا عقولهم المدمرة وأفكارهم الهدامة في النيل من هذا الدين وأهله، فدخلوا على المسلمين بأسلحة غير معهودة ولا معلومة، وتنطوي على خبث ومكر ودهاء، ولا يكون هذا إلا من فعل الشيطان الرجيم الذي يوحي إلى أوليائه ليكيدوا لأهل الإيمان ويناصبوهم العداء ويقفوا حجر عثرة في طريق السالكين إلى الله، ويضلوا من أراد طريق الجنة وابتغى رضوان الله.

ولكن الجسد إذا كان صحيحًا ومعافى من كل مرض وعلة فإنه يصمد أمام المصائب والنوائب ويتصدى لعاديات الزمان ومفاجئات القدر، وأما إذا كان هزيلاً ضعيفًا كان من اليسير على الوباء أن يفتك به ويقضي عليه لأنه لا يجد مقاومة تذكر، فيتمكن من

Upload by: altawhedmag.com

> لقد تعرض جسد الأمة لكثير من الطعنات المسمومة الحاقدة من أعداء الله ورسوله الموتورين الحاقدين، ولكنهم فشلوا جميعا في تحقيق ما أرادوه وكتب الله عليهم الخزي والعار وخرجوا من بلاد المسلمين يجرون أذيال الخيبة والهزيمة والنكسة

الجسد ويقعد به عن الحركة والحياة.

والأمة لا تزال بعافية في دينها ما دامت معتصمة بحبل الله المتين، فإذا قطعت هذا الحبل بالمعصية والإعراض تاهت في الأرض ولم تستقر على قرار، وأصبحت كالطير مكسور الجناح الذي يسقط على الأرض فيصبح عرضة لكل جائع ومفترس كالقصعة التي يتداعى عليها أكلتها، ولكن ما هي تلك العلل التي تسري في عروق الأمة الآن وتجعلها ضعيفة الأوصال مفككة الأركان، تُرى هل وراء ذلك حب الدنيا وكراهية الموت؟ أم شهوات الأرض وحظوظ النفس؟ وهل وراء ذلك الكسل والجهل والانشغال عن طلب العلم الذي فرضه الله ورفع مكانة أهله؟ أم أن وراء ذلك ضعف اليقين وفقدان الثقة في قدرة الله عز وجل؟ وهل وراء ذلك ولاة ظلمة عاثوا في الأرض فسادًا وأحلوا قومهم دار البوار وباعوا دينهم بعرض من الدنيا، وأذلوا شعوبهم وأذاقوهم سوء العذاب، وفرطوا في أرض الإسلام، ووالوا أعداء الله ورسوله ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعبدوا الدنيا من دون الله، وانشغلوا بأنفسهم عن حقوق رعيتهم، ونقضوا مواثيق الله، وفرطوا في الأمانة وخانوا الأمة؟

أم أن وراء ذلك شباب قد نصب نفسه حاكمًا على خلق الله، وجعل كل همه هو إخراج الناس من الملة ووصفهم بالكفر أو بالشرك نتيجة لتطويع النصوص تبعًا لأغراض منبعُها الهوى والانتصار للرأي؟

وهل وراء ذلك البيئة الفاسدة التي ضاع منها الحق وندر فيها المروءة والخير وعم فيها الفساد والانحلال، وخيم عليها حب الجاه والسلطان والتفاخر بالمال والمنصب والوظيفة؟ أم أن وراء ذلك كثرة الاتجاهات والمسميات واتهام كل فريق للآخر بما فيه وما ليس فيه لإظهار الرفعة وعلو المنزلة والانتقاص من شأن الآخرين؟

وهل وراء ذلك زلات العلماء وهم قادة الأمة في أمور غاية في الخطورة حتى انعدمت الثقة بينهم وبين عامة الناس من سواد المسلمين ومجموع الأمة؟ أم وراء ذلك أيدٍ خفية تشعل نار الفتن وتقود الأمة إلى الخراب والدمار وهي تعمل من وراء الستار؟!

ربما كانت هذه بعض العلل والعوائق التي تحول بين الأمة وبين مسيرتها المباركة نحو تحقيق العدل وإشاعة الخير في ربوع الأرض، فما أحوجنا إلى دواء ناجع لنقضي على تلك العوائق التي تقف دون الانطلاقة الكبرى لأمة الإسلام حتى تأخذ بزمام الأمور إلى بر الأمان وتقف من العالم كله موقف الأستاذ من التلميذ كما كانت على الدوام في مكان الصدارة والقدوة، وتلك إرادة الله فيها، وهذا قدره لها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ما أحوجنا إلى هذا الدواء ليسطع بريق الأمل بوجود المخرج مما نحن فيه، فلا يأس من الفرج بعد الكرب، ولا من وجود اليسر بعد العسر، فالله الذي يحيي الأرض بعد موتها ويخرج منها من كل زوج بهيج قادر على أن يحيي القلوب الموات لتنبض بالحق وتورق بالخير وتثمر بالبر، والله تعالى علمنا قدرته التي تتخطى حجاب الأسباب حتى تجلت مظاهر قدرته في مجيء الولد من العجوز العقيم، فالأمل يحدو أرواح المؤمنين في زوال الران الذي تراكم على الصدور لتسعد الدنيا كلها بحياة طاهرة من الفساد نقية من الفجور، ولله الأمر من قبل ومن بعد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



البيت المسلم يحمل هم الإسلام

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فقد قال الله تعالى: أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون [آل عمران:٨٣].

وقال تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة [البينة:٥]، وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون [آل عمران:١٠٢]، وقال سبحانه وتعالى: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار [ص:٢٧]، وقال جل وعلا: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴿١١٥﴾ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم [المؤمنون:١١٥، ١١٦].

وقال تبارك وتعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات:٥٦]، وقال: الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا [الملك:٢]. إلى غير ذلك من الآيات.

أخي المسلم، أختنا المسلمة، أبناءنا وبناتنا: جزءٌ كبير من تدينك يتمثل في شعورك بالانتماء للإسلام.

- وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى:

وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴿٢٠﴾ اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴿٢١﴾ وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴿٢٢﴾ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ﴿٢٣﴾ إني إذا لفي ضلال مبين [يس:٢٠- ٢٤].

إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة، فيها الصدق، والبساطة، والحرارة، واستقامة الإدراك، وتلبية الوازع القوي للحق المبين.

فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والعدل ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في نفسه فلم يُطق عليها سكوتًا، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في قلبه وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين.

وظاهرٌ أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان، ولم يكن في قوة من قومه أو منعة من عشيرته، ولكنها العقيدة الحية في فؤاده تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها.

Upload by: altawhedmag.com

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس:٢٠-٢١].

إن الذي يدعو مثل هذه الدعوة، وهو لا يطلب أجرًا، ولا يبتغي مغنمًا، إنه لصادق، وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن يلبي نداءً من الله؟ ما الذي يدفعه إلى حمل الدعوة؟ ودعوة الناس بغير ما ألفوا من العقيدة؟ والتعرض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم، وهو لا يجني من ذلك كسبًا، ولا يطلب منهم أجرًا؟

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس:٢١].

وهداهم واضح في طبيعة دعوتهم، فهم يدعون إلى إله واحد، ويدعون إلى نهج واضح، ويدعون إلى عقيدة لا خرافة فيها ولا غموض، فهم مهتدون إلى نهج سليم، وإلى طريق مستقيم.

هدهد سليمان، عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:١٧]، وفي يوم كان يتفقد سليمان عليه السلام هؤلاء الجنود، فلم ير الهدهد من بينهم، فقال: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ [النمل:٢٠]، ويتضح أنه غائب، ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن! فقال سليمان عليه السلام: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل:٢١] أي: حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه.

ويحضر الهدهد ومعه نبأ عظيم، بل مفاجأة ضخمة لسليمان: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩﴾ [النمل:٢٢- ٢٦].

إنه يعرف حزم الملك وشدته، فهو يبدأ حديثه بمفاجأة تغطي على موضوع غيبته، وتضمن إصغاء الملك له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]، فأي ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢]؟!

فإذا ضمن إصغاء الملك بعد هذه المفاجأة أخذ في تفصيل النبأ اليقين الذي جاء به من سبأ ومملكة سبأ تقع في جنوب الجزيرة باليمن، فذكر أنه وجدهم تحكمهم امرأة ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:٢٣]، وهي كناية عن عظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع، ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل:٢٣]، أي سرير ملك فخم ضخم، يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة، وذكر أنه وجد الملكة وقومها ﴿يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهنا يعلل ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم، فأضلهم، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل:٢٥]، والخبء: المخبوء إجمالاً سواء أكان هو مطر السماء ونبات الأرض، أم كان هو أسرار السماوات والأرض، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ [النمل:٢٥]، وهي مقابلة للخبء في السماوات والأرض بالخبء في أطواء النفس، ما ظهر منه وما بطن.

إنه هدهد عجيب فريد، يغار على حق الله في التوحيد، فهو الخالق، والكل له عبيد، إنه هدهد صاحب إدراك وذكاء وإيمان، فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم.

فمن يغار من الأسرة المسلمة على حق الله وأمره حين تُنتهك الحرمات ولا تعظم الشعائر؟

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: أيها الناس اتهموا أنفسكم (رأيكم)، لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا - وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين- فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدَّنيَّة في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا.

قال: فانطلق عمر - فلم يصبر متغيظًا - فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدًا.

قال: فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ: «الفتح»، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أوَ فتح هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع. [متفق عليه].

كفاح أبي ذر رضي الله عنه من أجل التوحيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل

Upload by: altawhedmag.com

هدهد سليمان -عليه السلام- هدهد عجيب فريد، يغار على حق الله في التوحيد، فهو الخالق، والكل له عبيد، إنه هدهد صاحب إدراك وذكاء وإيمان

الذي يزعم أنه نبيٌّ يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت، فتزود وحمل شنةً له فيها ماء، حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى إذا أدركه الليل فاضطجع، فرآه عليٌّ فعرف أنه غريبٌ، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، فظل ذلك اليوم ولا يرى النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمر به عليّ فقال: ما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه فذهب معه ولا يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالثة فعل مثل ذلك فأقامه عليّ معه، ثم قال له: أتحدثني ما الذي أقدمك إلى هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعلت، ففعل، فقال: فإنه حقّ وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخافه عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» [متفق عليه].

وفي الرواية الأخرى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لما أسلم: يا أبا ذر؛ اكتم هذا وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثار القوم، فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد بمثلها وثاروا إليه فضربوه فأكب عليه العباس فأنقذه، وكان هذا أول إسلام أبي ذر. [مسلم ٢٤٧٤].

شجاعة البراء بن عازب

شهد البراء بن عازب رضي الله عنه أُحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا بدرًا، وكان شجاعًا مقدامًا، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب ألا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين؛ فإنه مهلكة من المهالك، يقدم بهم.

ولما كان يوم اليمامة، واشتد قتال بني حنيفة على الحديقة التي فيها مسيلمة، قال البراء: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم، فاحتُمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين، فدخل المسلمون، فقتل الله مسيلمة، وجرح البراء يومئذ بضعًا وثمانين جراحة ما بين رمية وضربة، فأقام عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه شهرًا حتى برأ من جراحه.

طاعة السعدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أرسل رسول الله يوم الخندق إلى السعدين -رضي الله عنهما- يشاورهما فيما أراد أن يعطيه عيينة بن حصن من تمر المدينة يومئذ؛ وذلك أنه أراد أن يعطيه يومئذ ثلث أثمار المدينة لينصرف بمن معه من غطفان ويخذّل الأحزاب، فأبى عيينة إلا أن يأخذ نصف التمر، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دون سائر الأنصار؛ لأنهما كانا سيدي قومهما، كان سعد بن معاذ سيدًا للأوس، وسعد بن عبادة سيدًا للخزرج، فشاورهما في ذلك، فقالا: يا رسول الله، إن كنت أُمِرْتَ بشيء فافعله وامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم أومر بشيء ولو أمرت بشيء ما شاورتكما، وإنما هو رأي أعرضه عليكما». فقالا: والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية فكيف اليوم؟ وقد هدانا الله بك وأكرمنا وأعزنا، والله لا نعطيهم إلا السيف، فسُرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لهما، وقال لعيينة بن حصن ومن معه: ارجعوا فليس بيننا وبينكم إلا السيف، ورفع بها صوته. [معرفة السنن والآثار للبيهقي ٥٧٧٨].

Upload by: altawhedmag.com

أطفال المسلمين يحملون هم الإسلام

سمرة بن جندب:

سكن البصرة، قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه فتزوجها رجل من الأنصار، وكان في حجره إلى أن صار غلامًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض غلمان الأنصار كل سنة فمر به غلام فأجازه في البعث وعرض عليه سمُرة بعده فردَّه، فقال سمرة: لقد أجزت هذا ورددتني ولو صارعته لصرعته، قال: «فدونكه فصارعه». فصرعه سمرة فأجازه في البعث.

وعن سمرة بن جندب أيضًا أنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامًا فكنت أحفظ عنه، وما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسنّ مني، ولقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة ماتت في نفاسها، فقام عليها في الصلاة وسطها. [مسلم ٩٦٤].

المرأة المسلمة تحمل هم الإسلام

الخنساء:

حضرت الخنساء بنت عمرو السلمية حرب القادسية ومعها بنوها: أربعة رجال، وكانت موعظتها لهم وتحريضهم على القتال وعدم الفرار، وفيها: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لبنو أب واحد وأم واحدة، ما هاجنت آباءكم ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال حتى قتلوا جميعًا:

فقُتلوا جميعًا في سبيل الله، فبلغها الخبر، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في الجنة، قالوا: وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة حتى قُبض.

ويقال: إنها دخلت على عائشة وعليها صدار من شعر، فقالت لها: يا خنساء، هذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فقالت: ما علمت، ولكن هذا له قصة؛ زوجني أبي رجلاً مبذرًا فأذهب ماله فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين فأعطاني شطرًا خيارًا، ثم فعل زوجي ذلك مرة أخرى فقسم أخي ماله شطرين فأعطاني خيرهما فقالت له امرأته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار؟

أم ورقة بنت عبد الله الأنصارية

عن أم ورقة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا بدرًا قالت له: ائذن لي فأخرج معك فأمرِّض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة، قال: «قري في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة». قال: فكانت تسمى الشهيدة.

قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في أن تتخذ في دارها مؤذنا فأذن لها، قال: وكانت قد دبرت غلامًا لها وجارية فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس، فقال: من عنده من هذين علم، أو: من رآهما فليجئ بهما، فأمر بهما فصلبا أول مصلوب بالمدينة.

قيل إن عمر رضي الله عنه لما قيل له: إنها قتلت، قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

عمرو بن الجموح

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمرو بن الجموح شيخًا من الأنصار أعرج، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقام لعرجه، فلما كان يوم أحد قال لبنيه: أخرجوني، قالوا: قد رخص لك رسول الله، فقال: هيهات منعتموني الجنة ببدر وتمنعونيها بأُحد؟

فخرج فلما التقى الناس قال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلت اليوم أطأ بعرجتي هذه الجنة، قال: «نعم». فقال لغلام معه يقال له أبو سليم: ارجع إلى أهلك، قال: وما عليك أن أصيب اليوم معك خيرًا، فتقدم فقاتل حتى قُتل، ثم قاتل هو حتى قتل. [كتاب الجهاد لابن المبارك ١/٦٩].

هذه النماذج العالية الرفيعة من الرجال والنساء والأطفال، ضربت أروع الأمثلة في الغيرة على دين الله، والسعي لنصره بالروح والدم، وهؤلاء قدوة الأمة ومثلها الأعلى بعد نبيها صلى الله عليه وسلم

هذه النماذج العالية الرفيعة من الرجال والنساء والأطفال، ضربت أروع الأمثلة في الغيرة على دين الله، والسعي لنصره بالروح والدم، وهؤلاء قدوة الأمة ومثلها الأعلى بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، فلينظر كل مسلم منا أين موقعه من هذه النماذج الصالحة، لعل الله أن يوفقه أن يفعل فعلهم ويُحشر معهم.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



أقوال العلماء في ربا الجاهلية وكلمة عن البنوك

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

بدأنا في العدد الماضي في عرض أقوال العلماء في ربا الجاهلية، ننتقل بعد هذا إلى ما جاء عن الاستثمار.

قال الكاتب: والكلمة الرابعة وهي الاستثمار مأخوذة من الثمر.

وذكر قول صاحب القاموس المحيط: «ثمّر الرجل ماله؛ أي: نماه وكثره، وأثمر الرجل أي: كثر ماله».

وما جاء في المعجم الوسيط: «الاستثمار: استخدام الأموال في الإنتاج: إما مباشرة كشراء الآلات والمواد الأولية، وإما بطريق غير مباشر كشراء الأسهم والسندات».

ثم ذكر تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف: ٣٤]، فقال: «وكان للرجل الذي يملك هذين البستانين أموال كثيرة أخرى غير هذين البستانين من الذهب والفضة والأنعام».

ثم قال: «والخلاصة: أن لفظ الاستثمار معناه: أن يبحث الإنسان عن المصادر والمعاملات المتنوعة التي توصله إلى تكثير ماله وتنميته بالطرق المشروعة التي أحلها الله تعالى».

قلت: صاحب القاموس لم يشر إلى الحلال أو الحرام، فتكثير المال قد يكون بالطرق الحرام، فهو ذكر المعنى اللغوي دون إشارة إلى الطرق الحلال منها والحرام.

والمعجم الوسيط وإن ذكر بعض الطرق غير أنه لم يذكر الحكم الشرعي، ذلك أن موضع الحكم الشرعي ليس معاجم اللغة. والأمثلة التي ذكرها ليست كلها مشروعة أحلها الله تعالى، وعلى سبيل المثال: إذا قامت شركة مساهمة لصناعة الخمور، والتجارة فيها، فهل شراء أسهمها حلال؟

وإذا أرادت هذه الشركة قرضًا لمدة معينة فأصدرت سندات، فهل شراء هذه السندات حلال؟

وإذا جئنا إلى الكافر، صاحب الجنتين، الذي ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾، فهل كسب هذه الأموال الكثيرة كلها بطرق مشروعة أحلها الله تعالى؟!

فمن أين إذن جاء الكاتب بقوله: بالطرق المشروعة التي أحلها الله تعالى؟

إن الاستثمار لا يُفتى فيه بالحل أو بالحرمة إلا بعد النظر في المصادر والمعاملات المتنوعة التي توصل الإنسان إلى تكثير ماله وتنميته، وليس بمسلم من أنكر هذه المصادر، والمعاملات منها ما أحله الله عز وجل، ومنها ما حرمه، وليس بمسلم من أبطل شريعة الله سبحانه وتعالى التي بيّنت الحلال والحرام في طرق الكسب وتنمية المال، وجعل الاستثمار كله حلالاً، أو كله حرامًا.

فهذه القضية - عقلاً أو شرعًا - أوضح من أن تُناقش.

ثم قال الكاتب: «والخلاصة التي أريد أن أصل إليها بعد أن عرفنا معاني هذه الألفاظ الأربعة لغة وشرعًا، هي: أن هذه الألفاظ لكل منها معناه الخاص، وأن وضع هذه الألفاظ مكان الآخر هو من باب الخطأ، أو على الأقل: من باب التجاوز في التعبير».

ومع أن العبرة في المعاملات بالمقاصد والمعاني،

Upload by: altawhedmag.com

> إن الاستثمار لا يُفتى فيه بالحل أو بالحرمة إلا بعد النظر في المصادر والمعاملات المتنوعة التي توصل الإنسان إلى تكثير ماله وتنميته

لا بالألفاظ والمباني؛ إلا أن وضع الألفاظ في معانيها الصحيحة أمر لا بد منه لتجلية الحقائق، والابتعاد عن الخلط الذي كثيرًا ما يؤدي إلى الأحكام الخاطئة، والتفسيرات السقيمة.

الآن لنا أن نتساءل: هل المعاملات التي تقوم بها البنوك والمصارف تشمل هذه الألفاظ الأربعة أو تشمل بعضها دون بعض؟ وأي هذه الألفاظ أقرب إلى حقيقة التعامل مع البنوك؟

وما الحكم الشرعي إذا قصد إنسان - بالتعامل معها - معاملة معينة ينطبق عليها أحد هذه الألفاظ الأربعة دون الآخر؟

هذا ما سنبينه - بإذن الله - في المباحث الآتية». انتهى كلامه.

قلت: الألفاظ الثلاثة الأولى جئت بمعناها لغة وشرعًا، مع خطأ في القرض بينته لكلٍ في محله. وهذه الثلاثة لها ضوابطها الشرعية التي نجدها في الفقه الإسلامي.

أما لفظ الاستثمار فقد ذكرت معناه اللغوي فقط لا الشرعي، واستمددته من معجمين لغويين، واستعنت بحديث القرآن الكريم عن الكافر الذي كان له ثمرٌ، وهذا كله لا يعطي المعنى الشرعي، لكن الكاتب تحامل على الشرع، وأعطى الحكم من عند نفسه، وجعل كل استثمار حلالاً، وزعم أن مراجعه تعطي هذا المعنى الشرعي؛ فمن أين جاء هذا؟ وهي لم تقصده من قريب ولا بعيد، وليس بين المراجع كتاب فقه واحد، وليس في الفقه الإسلامي كله - في جميع كتبه - ومذاهبه عقد اسمه استثمار، ولا ينعقد عقد بهذه الصيغة؟

نعم هناك ضوابط شرعية، وبيان للحلال والحرام في طرق الكسب وتثمير المال وتكثيره، وإن لم تنتشر كلمة استثمار في الفقه، فالكلمة تعني عقودًا مختلفة منها الحلال ومنها الحرام.

ولا يمكن أن يكون الاستثمار كله حلالاً، فقد سبق بيان بعض أمثلة للاستثمار الحرام مما ذكره الكاتب نفسه من المراجع لبيان المعنى، ولم أشأ أن أزيد آنذاك، فالاستثمار الحرام معلوم مقطوع به، في الجملة لعامة المسلمين، فضلاً عن خاصتهم، فالزارعون لأشجار المخدرات، وصنّاعها وتجارها: مستثمرون، وأصحاب الملاهي الليلية ودور البغاء والقمار: مستثمرون.

والاقتصاد الرأسمالي الذي أخذنا عن يهوده نظام البنوك الربوية، ينظر إلى التنمية بمنظار كثرة المال، دون التفات إلى حلال أو حرام، أو مصلحة أو مفسدة، فالمرأة التي تعمل في بيتها فقط، وتربي أولادها، وتخرج النشء الصالح، ليست منتجة، والمرأة التي تعمل في تلك الملاهي، وتشبع رغبات العابثين امرأة منتجة، بل هي بمقياسهم الفاسد أكثر إنتاجًا من المعلمة والطبيبة ما دامت تتقاضى أجرًا أكبر.

والقرض لا بد أن ينفصل عن الاستثمار في حالة واحدة فقط، وهي: القرض الحسن، والاستثمار الحلال، أما في غيرها فيمكن ألا ينفصل، بل يدخل في كثير من استثمارات العصر أكثر مما كان في الجاهلية الأولى.

ففي الجاهلية مثلاً كان العباس وشريكه يسلفان في الربا، أي إن تلك الشركة كانت تثمر أموالها عن طريق القروض الربوية، والعباس أيضًا كان يثمر جزءًا من ماله عن طريق المضاربة، وفي عصرنا كثير من الشركات تستثمر فائض أموالها عن طريق الإقراض الربوي، ويتضح هذا من دراسة ميزانية هذه الشركات.

أما البنوك الربوية - يهودية المنشأ - فلم تقم إلا على أساس تثمير المال عن طريق الربا، الذي أثبت أكثر من مرة أنه أسوأ من ربا الجاهلية، والخطأ في تناول الكاتب للقرض، وحكمه على الاستثمار، والخلط بين الأنواع المتباينة، أدى بعد ذلك إلى أخطاء جسيمة، وهذه نتيجة حتمية، ومع هذا زعم أنه كشف عن خلط، وصحّح أحكامًا خاطئة، وتفسيرات سقيمة، وهذا الخلط وهذه الأحكام والتفسيرات التي زعمها، نراها صدرت عن الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ شلتوت، والشيخ أبي زهرة، والشيخ دراز، والشيخ عبد الرحمن تاج، وأمثالهم من الأئمة والعلماء الأعلام، ومن شاركوا في المجامع والمؤتمرات التي أشرت إليها.

أهؤلاء جميعًا خلطوا وأصدروا أحكامًا خاطئة، وتفسيرات سقيمة عندما بينوا حرمة فوائد البنوك، وأنها من ربا القروض والديون، وهو ربا النسيئة المحرم بالكتاب والسنة والإجماع، ثم جاء الكاتب ليكشف أنها عائد استثماري، والاستثمار كله حلال

Upload by: altawhedmag.com

حلال، وليس فوائد قروض، فالقروض كلها حسنة؟!

كلمة عن البنوك

قال الكاتب الدكتور/محمد سيد طنطاوي - رحمه الله -: تطلق كلمة بنك وكلمة مصرف - بكسر الراء - على المكان الذي تتداول فيه الأموال تارة عن طريق الإيداع، وتارة عن طريق الأخذ، وعن غير ذلك من طرق التعامل.

وكلمة مصرف في اللغة العربية، اسم لمكان الصرف أي: التصرف أخذًا وعطاءً واستبدالاً وإيداعًا.

قال: وفي المعجم الوسيط: «الصراف: من يُبدل نقدًا بنقد، أو هو الأمين على الخزانة بقبض وبصرف ما يُستحق، والصرافة: مهنة الصراف، والمصرف مكان الصرف، وبه سمى البنك مصرفًا». اهـ.

قُلْتُ: ما دمت تبحث عن معنى كلمة بنك، وذهبت إلى المعجم الوسيط، فلماذا نقلت منه معنى كلمة صراف، ولم تنقل منه معنى كلمة بنك؟

وكذلك لماذا لم تنقل التعريف من كتب أساتذة الاقتصاد الذين يدرسون مادة البنوك لطلاب الجامعة؟

ففي المعجم الوسيط: البنك مؤسسة تقوم على الائتمان بالاقتراض والإقراض.

وفي الموسوعة العربية الميسرة: «مصرف أو بنك: تطلق هذه الكلمة بصفة عامة على المؤسسات التي تتخصص في إقراض أو اقتراض النقود».

ومثل هذا التعريف نقلته من كتاب مذكرات في النقود والبنوك للدكتور إسماعيل هاشم، ومقدمة في النقود والبنوك للدكتور محمد زكي شافعي، ومحاضرات في النقود والبنوك للدكتور محمد يحيى عويس وغيرهم.

أعتقد أن البحث العلمي المجرد يقتضي ذكر التعريف من المصادر المتخصصة، وإن خالف ما يريد الباحث الوصول إليه.

انتقل الكاتب الدكتور محمد سيد طنطاوي بعد هذا للحديث عن التطورات التي مرت بها البنوك، ثم قال: «وقد تحدث أحد رجال الاقتصاد عن أهمية وظيفة البنوك والمصارف في عصرنا هذا فقال: البنوك: هي الوعاء المالي للدولة؛ إذ هو يمدها بالمال الذي تستعمله في مشروعاتها الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها، وعن طريقها تدفع الأجور للعاملين بالدولة، بل إن معظم ميزانية أية دولة يتمثل في حصيلة ما يتجمع في بنوكها ومصارفها من أموال.

ووظيفة البنوك والمصارف تشبه إلى حد كبير وظيفة القلب بالنسبة إلى جسم الإنسان؛ لأنه إذا كان القلب يتولى ضخ الدم وتوزيعه في جسم الإنسان فإن البنوك والمصارف تتولى ضخ المال وتوزيعه في عروق الحياة الاقتصادية في أي مجتمع، لكي ينمو ويزدهر». اهـ.

> قامت المصارف الإسلامية على منهج شرعي إسلامي غير يهودي، فأخذت ما في البنوك من نفع، وأضافت إليه ما هو أكبر نفعًا، وابتعدت عن أوزارها وما فيها من سوء

قُلْتُ: هذه التطورات منقولة عن كتاب للدكتور أحمد شلبي، وهو الذي أباح فوائد البنوك وشهادات الاستثمار، وبدأ حملة إباحة الفوائد الربوية مع الدكتور عبد المنعم النمر، فتصديت للرد عليها، ونشر الأزهر الرد سنة ١٤٠٢هـ، وأثبت في الرد كذبه وافتراءه على شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. ومن ذكر قوله في أهمية الوظيفة على أنه أحد رجال الاقتصاد هو الدكتور إبراهيم الناصر الحاصل على الدكتوراه في القانون - وليس في الاقتصاد - من أمريكا، والمستشار القانوني - وليس الاقتصادي - بمؤسسة النقد السعودية، وهو الذي كتب بحثًا يحل فوائد البنوك، بل أعلن صراحة جهارًا حل فوائد القروض، واستنكر تحريمها، وأخذ يكذب ويفتري على أئمة الهدى الأعلام.

وما ذكره الناصر غير صحيح، فالبنوك ضررها أكبر من نفعها، وما أصيبت به الأمة الإسلامية في اقتصادها إلا بعد غزو البنوك اليهودية الربوية، فبدأت الديون تتراكم، والتضخم يزداد؛ حيث لم تكتف بالوساطة الربوية النتنة، بل أضافت ما يُعرف بخلق النقود، وهو أشد سوءًا من سابقه.

ومن خلال صحوة الأمة الإسلامية المتجددة، وبعد جهود وجود وتخطي عقبات وعقبات، قامت المصارف الإسلامية على منهج شرعي إسلامي غير يهودي، فأخذت ما في البنوك من نفع، وأضافت إليه ما هو أكبر نفعًا، وابتعدت عن أوزارها وما فيها من سوء، وبذلك بدأ يتحقق ما دعا إليه مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الثاني، ولكن هذا لا يعجب الناصر وأمثاله.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

باب الفقة

أحكام الحيض

الحلقة الخامسة

أحكام الاستحاضة

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

نتكلم في هذه الحلقة عن الاستحاضة وما يتعلق بها من أحكام، ونختم بها إن شاء الله تعالى الحديث عن أحكام الحيض.

أولا: تعريف الاستحاضة

هي سيلان الدم في غير أوقاته المعتادة (غير الحيض والنفاس) من مرض وفساد، من عِرْق أدنى الرحم، يقال له العاذل، فكل نزيف من الأنثى قبل مدة الحيض (وهي تسع سنين)، أو نقص عن أقل الحيض، أو زاد على أكثره أو أكثر النفاس، أو زاد عن أيام العادة الشهرية وجاوز أكثر مدة الحيض، أو ما تراه الحامل (الحبلى) في رأي الحنفية والحنابلة، هو استحاضة (الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ١/٥٥٧).

ثانيا: حالات المستحاضة

المستحاضة أمرها مشكل؛ لاشتباه دم الحيض بدم الاستحاضة، فإذا كان الدم ينزل منها باستمرار أو غالب الوقت؛ فما الذي تعتبره منه حيضًا وما الذي تعتبره استحاضة لا تترك من أجله الصوم والصلاة؛ فإن المستحاضة يعتبر لها أحكام الطاهرات. (الملخص الفقهي: صالح بن فوزان الفوزان ١٨/٨٤). وبناء على ذلك؛ هناك أمور ثلاثة تحتاج إلى بحث وهي:

١- أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة، وفي هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هي مدة الحيض، والباقي استحاضة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ردّ فاطمة بنت أبي حبيش إلى عادتها، فقال: (دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين). وقال صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة: (امكثي قدر ما كانت تحبسك حيضتك ثم اغتسلي وصلي). رواه مسلم ولحديث أم سلمة: أنها استفتت النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة تهراق الدم فقال: (لتنظر قدر الليالي والأيام التي كانت تحيضهن وقدرهن من الشهر، فتدع الصلاة، ثم لتغتسل ولتستثفر ثم تصلي) رواه مالك والشافعي والخمسة إلا الترمذي قال النووي: وإسناده على شرطهما.

قال الخطابي: هذا حكم المرأة يكون لها من الشهر أيام معلومة تحيضها في أيام الصحة قبل حدوث العلة، ثم تستحاض فتهريق الدم، ويستمر بها السيلان أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تدع الصلاة من الشهر قدر الأيام التي كانت تحيض، قبل أن يصيبها ما أصابها، فإذا استوفت عدد تلك الأيام، اغتسلت مرة واحدة، وحكمها حكم الطواهر. (فقه السنة السيد سابق: ١/٨٧).

مثال: امرأة كانت يأتيها الحيض ستة أيام من أول كل شهر، ثم طرأت عليها الاستحاضة فصار الدم يأتيها باستمرار فيكون حيضها ستة أيام من أول كل شهر، وما عداها استحاضة. [إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام: سليمان بن محمد اللهيميد ٤/٧٤].

٢- أن لا يكون لها وقت حيض معلوم قبل الاستحاضة، فالمستحاضة عند الفقهاء إما أن تكون ذات عادة شهرية سابقة، فهي تعرف مدة حيضتها، فيطبق عليها الدم فلا تعرف حيضاً من استحاضة، وإما أن تكون مبتدئة بالحيض، وتأتي حيضتها طويلة، ولا تعرف مدة حيضتها، ولا ما زاد عليها من استحاضة، فهذه تعمل بالتمييز. شرح بلوغ المرام: عطية بن محمد سالم.

والتَّمييزُ: التَّبيُّن حتى يُعرفَ هل هو دُم حيض، أو استحاضة.

والتَّميز له أربع علامات:

الأولى: اللَّون: فدم الحيض أسودُ، والاستحاضة

Upload by: altawhedmag.com

أحمرُ.

الثانية: الرِّقة: فدم الحيض ثخينٌ غليظٌ، والاستحاضة رقيقٌ.

الثالثة: الرَّائحة: فدم الحيض منتنٌ كريهٌ، والاستحاضة غيرُ منتن، لأنه دمُ عرْق عادي.

الرَّابعةُ: التَّجمُّد: فدم الحيضُ لا يتجمَّد إذا ظهر؛ لأنه تجمَّد في الرَّحم، ثم انفجر وسال، فلا يعود ثانية للتجمُّد، والاستحاضة يتجمَّد، لأنه دم عرْق. هكذا قال بعض المعاصرين من أهل الطبِّ، وقدْ أشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: «إنه دَمُ عِرْقٍ»، والمعروف أنَّ دماء العروق تتجمَّد.

مثاله: امرأةٌ نسيت عادتها؛ لا تدري هل هي في أوَّل الشهر، أو وسطه أو آخره، فنقول: ترجع إلى المرحلة الثانية، وهي التَّمييز؛ لأنها لما نسيت العادة تعذَّر العمل بها، فترجع إلى التَّمييز.. [الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح العثيمين: ٤٨٧/١].

ودليل ذلك حديث عروة عن فاطمة بنت أبي حُبَيش، أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: إذا كان دم الحيضة، فإنه أسود يعرف، فإذا كان كذلكِ فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي، فإنما هو عِرْق». رواه أبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم؛ هذا الحديث فيه أن المستحاضة تعتبر صفة الدم، فتميز بها بين الحيض وغيره. [الملخص الفقهي: صالح بن فوزان الفوزان ٨٤/١].

مسألة: لو فرض أنه وجد عند المرأة صفتان [عادة وتمييز]. وهنا فرضان

أ- أن تكون العادة موافقة للتمييز، فهذا لا إشكال فيه.

ب- أن يكون عندها تمييز، لكنه مختلف عن عادتها.

مثال: عادتها من تاريخ ٦/١ من كل شهر، وتمييزها ٦/٨. [إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام: سليمان بن محمد اللهيميد ٧٤/٤].

فهنا بماذا تعمل؟ اختلف العلماء:

فالمشهور من مذهب أحمد: أنها تأخذ بالعادة. واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم لأمِّ حبيبة بنت جحش: «امْكُثي قَدْرَ ما كانت تحبسُك حَيْضَتُك». فردَّها النبيُّ صلى الله عليه وسلم للعادة، واحتمال وجود التَّمييز معها ممكنٌ، ولم يستفصل النبيُّ صلى الله عليه وسلم. فلمَّا لم يستفصل مع احتمال وجود التَّمييز عُلِمَ أنها ترجع إلى العادة مطلقاً، وأنَّ المسألة على سبيل العموم؛ إذ من القواعد الأصولية المقرَّرة: «أنَّ ترك الاستفصال في مقام الاحتمال يُنَزَّل منزلة العموم في المقال». وذهب الشافعيُّ، وهو رواية عن أحمد: أنها ترجع للتَّمييز.

واستدلُّوا بما يلي:

١- قوله صلى الله عليه وسلَّم: «إنَّ دمَ الحيض أسودُ يُعرَفُ»، قال هذا في المستحاضة، والنساء اللاتي استحضن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم حوالي سبع عشرة امرأة، ولا يُستبعد أن تنتقل العادةُ من أوَّل الشهر إلى وسطه بسبب مرض الاستحاضة الذي طرأ عليها.

٢- أنَّ التَّمييز علامةٌ ظاهرةٌ واضحةٌ، فيُرجع إليها.

والرَّاجح: أنها ترجع للعادة، ولأنَّ الحديث الذي فيه ذكر التَّمييز قد اختُلف في صحَّته.

ولأنه- أي الرجوع للعادة - أيسر وأضبطُ للمرأة؛ لأنَّ هذا الدَّمَ الأسود، أو المنتن، أو الغليظ، ربما يضطرب، ويتغيَّر أو ينتقل إلى آخر الشهر، أو أوَّله، أو يتقطع بحيث يكون يومًا أسود، ويوماً أحمر. [الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح العثيمين ٤٩٢/١].

ثالثاً: أن يستمر بها الدم ولم يكن لها أيام معروفة، إما لأنها نسيت عادتها، أو بلغت مستحاضة، ولا تستطيع تمييز دم الحيض. وفي هذه الحالة يكون حيضها ستة أيام أو سبعة، على غالب عادة النساء، لحديث حمنة بنت جحش قالت: كنت أستحاض حيضة شديدة كثيرة، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستفتيه وأخبره فوجدته في بيت أختي زينب بن جحش، قالت فقلت: يا رسول الله إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فما ترى فيها، وقد منعتني الصلاة والصيام؟ فقال: (أنعت لك الكرسف - أصف لك القطن - فإنه يذهب الدم) قالت: هو أكثر من ذلك، قال: (فتلجمي - شدي خرقة مكان الدم على هيئة اللجام -) قالت: إنما أثج ثجًا - شدة السيلان - فقال: (سآمرك بأمرين) أيهما فعلت فقد أجزأ عنك من الآخر، فإن قويت عليهما فأنت أعلم، فقال لها: (إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان، فتحيضي ستة أيام إلى سبعة في علم الله ثم اغتسلي، حتى إذا رأيت أنك قد طهرت واستنقيت، فصلي أربعًا وعشرين ليلة، أو ثلاثًا وعشرين ليلة وأيامها، وصومي، فإن ذلك يجزئك، وكذلك فافعلي في كل شهر كما تحيض النساء وكما يطهرن بميقات حيضهن وطهرهن، وإن قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر، فتغتسلين ثم تصلين الظهر والعصر جميعًا، ثم تؤخرين المغرب وتعجلين العشاء وتجمعين الصلاتين فافعلي، وتغتسلين مع الفجر وتصلين، فكذلك فافعلي وصلي وصومي إن قدرت على ذلك...)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وهذا أحب الأمرين إليّ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي قال: هذا حديث

Upload by: altawhedmag.com

حسن صحيح.

قال: وسألت عنه البخاري فقال: حديث حسن (وحسنه الألباني، انظر صحيح أبي داود: ٢٨٧). وقال أحمد بن حنبل: هو حديث حسن صحيح. قال الخطابي - تعليقًا على هذا الحديث-: إنما هي امرأة مبتدأة لم يتقدم لها أيام، ولا هي مميزة لدمها، وقد استمر بها الدم حتى غلبها، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها إلى العرف الظاهر والأمر الغالب من أحوال النساء كما حمل أمرها في تحيضها كل شهر مرة واحدة على الغالب من عادتهن. ويدل على هذا قوله: (كما تحيض النساء ويطهرن بميقات حيضهن وطهرهن) قال: وهذا أصل في قياس أمر النساء بعضهن على بعض، في باب الحيض والحمل والبلوغ، وما أشبه هذا من أمورهن. [فقه السنة: السيد سابق ١/٨٨].

وهذا التخيير الوارد في الحديث ليس على التشهي وإنما على الاجتهاد، فتجتهد وتبني حكمها بالنظر إلى نسائها وقريباتها، فالمقصود أنها تتحرى وتجتهد وتقرر ستة أيام أو سبعة. [شرح الزاد للحمد: ٢/٢٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والعلامات التي قيل بها ست: إما العادة؛ فإن العادة أقوى العلامات؛ لأن الأصل مقام الحيض دون غيره، وإما التمييز؛ لأن الدم الأسود والثخين المنتن أولى أن يكون حيضًا من الأحمر، وإما اعتبار غالب عادة النساء؛ لأن الأصل إلحاق الفرد بالأعم الأغلب؛ فهذه العلامات الثلاث تدل عليها السنة والاعتبار، ثم ذكر بقية العلامات التي قيل بها.وقال في «النهاية»: «وأصوب الأقوال اعتبار العلامات التي جاءت بها السنة، وإلغاء ما سوى ذلك» [الملخص الفقهي: صالح بن فوزان الفوزان: ١/٨٧].

وقال العلامة الشوكاني كلمة جامعة نختم بها هاهنا حيث قال: وقد أطال المصنّفون في الفقه الكلام في المستحاضة واضطربت أقوالهم اضطرابًا يبعد فهمه على أذكياء الطلبة فما ظنك بالنساء، وبالغوا في التعسير حتى جاؤوا بمسألة المتحيرة فتحيروا. والأحاديث الصحيحة قد قضت بعدم وجودها؛ لأن حديث الباب ظاهر في معرفتها إقبال الحيضة وإدبارها، وكذلك الحديث الآتي في الباب الذي بعد هذا فإنه صريح في أن دم الحيض يعرف ويتميز عن دم الاستحاضة فطاحت مسألة المتحيرة ولله الحمد، ولم يبق ههنا ما يستصعب إلا ورود بعض الأحاديث الصحيحة بالإحالة على صفة الدم وبعضها بالإحالة على العادة وقد عرفت إمكان الجمع بينها بما سلف. [نيل الأوطار - الشوكاني ١/٣٢٩]

أحكام المستحاضة:

أولاً - هل يحرم شيء على المستحاضة مما يحرم على الحائض؟

الاستحاضة حدث دائم كسلَس بول ومذي وغائط وريح باتفاق الفقهاء، أو كرعاف دائم أو جرح لا يرقأ دمه أي لا يسكن عند الحنفية والحنابلة، فلا يمنع شيئاً مما يمنعه الحيض والنفاس من صلاة وصوم ولو نفلاً، وطواف، وقراءة قرآن ومس مصحف ودخول مسجد واعتكاف ووطء بلا كراهة. [الفقهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ: وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ١/٥٦١].

قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ١/٦٣١): وأما الصلاة والصيام والاعتكاف وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله وسجود التلاوة وسجود الشكر ووجوب العبادات عليها فهي في كل ذلك كالطاهرة، وهذا مجمع عليه.

وأدلة ذلك:

أولا الصلاة والصوم:

١- ما روت عائشة قالت: «قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني امرأة أُستحاض، فلا أطهرُ، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما ذلك عِرْق (أي ينزف)، وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة، فإذا ذهب قدرها (قدر عادتها) فاغسلي عنك الدم، وصلي» [متفق عليه].

٢- أمر النبي صلى الله عليه وسلم حَمْنة بنت جَحْش بالصوم والصلاة في حالة الاستحاضة.

ثانيا الاعتكاف: يجوز للمستحاضة الاعتكاف لحديث عائشة: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتكف معه بعض نسائه وهي مستحاضة ترى الدم فربما وضعت الطشت تحتها من الدم) - رواه البخاري. وفي رواية (اعتكف معه امرأة من أزواجه وكانت ترى الدم والصفرة والطشت تحتها وهي تصلي). رواه أحمد والبخاري وأبو داود.

مسألة: هل يجب على المستحاضة الغسل لكل صلاة؟

نقل صاحب المغني في ذلك أقوالاً: الأوّل: تغتسل عندما يحكم بانقضاء حيضها أو نفاسها. وليس عليها بعد ذلك إلا الوضوء ويجزيها ذلك. قال النووي: وبهذا قال جمهور العلماء من السلف والخلف «لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حبيش: إنما ذلك عرقٌ وليست بالحيضة، فإذا أقبلت فدعي الصّلاة، فإذا أدبرت فاغسلي عنك الدّم وصلّي، وتوضّئي لكلّ صلاة» قال الترمذيّ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ (١/٤٠٨) قال الشوكاني: والحديث يدل على وجوب الوضوء لكل صلاة. ويدل على أن الغسل لا يجب إلا مرة واحدة عند انقضاء

Upload by: altawhedmag.com

الحيض. [نيل الأوطار - الشوكاني ١/٣٤٨].

الثاني: أنَّها تغتسل لكلِّ صلاة. روي ذلك عن عليٍّ وابنِ عمر وابن عبّاس وابن الزّبير، وهو أحد قولي الشافعيّ في المتحيّرة؛ لأنّ عائشة روت «أنّ أمّ حبيبة استحيضت، فأمرها النّبيّ صلى الله عليه وسلم أن تغتسل لكل صلاة.

الثالث: أنّها تغتسل لكلّ يوم غسلاً واحداً، روي هذا عن عائشة وابن عمر وسعيد بن المسيّب.

الرّابع: تجمع بين كلّ صلاتي جمع بغسلٍ واحدٍ، وتغتسل للصّبح. (المغني لابن قدامة١/٤٠٨)

ودليل الجمهور أن الأصل عدم الوجوب فلا يجب إلا بورود الشرع بإيجابه.

قال النووي: ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أمرها بالغسل إلا مرة واحدة عند انقطاع حيضها وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغتسلي) وليس في هذا ما يقتضي تكرار الغسل. [المجموع: ٢/٥٣٦].

قال الشافعي رحمه الله تعالى في الرد على ما احتج به من قال بوجوب الغسل وهو حديث أم حبيبة: إنما أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تغتسل وتصلي وليس فيه أنه أمرها أن تغتسل لكل صلاة قال: ولا أشك إن شاء الله أن غسلها كان تطوعًا غير ما أمرت به. (الأم ١/٨٠).

قال الشوكاني: وما ذهب إليه الجمهور من عدم وجوب الاغتسال إلا لإدبار الحيضة هو الحق؛ لفقد الدليل الصحيح الذي تقوم به الحجة لاسيما في مثل هذا التكليف الشاق فإنه لا يكاد يقوم بما دونه في المشقة إلا خُلّص العباد فكيف بالنساء، والتيسير وعدم التنفير من المطالب التي أكثر المختار صلى الله عليه وآله وسلم الإرشاد إليها، فالبراءة الأصلية المعتضدة بمثل ما ذكر لا ينبغي الجزم بالانتقال عنها بما ليس بحجة توجب الانتقال وجميع الأحاديث التي فيها إيجاب الغسل لكل صلاة (لا يقال) إنها تنتهض للاستدلال بمجموعها لأنا نقول هذا مُسَلم لو لم يوجد ما يعارضها، وأما إذا كانت معارضة بما هو ثابت في الصحيح فلا كحديث عائشة فإن فيه: (إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر فاطمة بنت أبي حبيش بالاغتسال عند ذهاب الحيضة) فقط وترك البيان في وقت الحاجة لا يجوز كما تقرر في الأصول وقد جمع بعضهم بين الأحاديث بحمل أحاديث الغسل لكل صلاة على الاستحباب [نيل الأوطار - الشوكاني ١/٣٠٢]

ويجب أن تتوضأ لكل صلاة.لرواية البخاري: (ثم توضئي لكل صلاة).

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: «ومعنى ذلك أنها لا تتوضأ للصلاة المؤقتة إلا بعد دخول وقتها، أما إذا كانت الصلاة غير مؤقتة، فإنها تتوضأ لها عند إرادة فعلها».

ثانيا: أنها إذا أرادت الوضوء فإنها تغسل أثر الدم، وتعصب على الفرج خرقة قطن ليستمسك الدم.. [إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام: سليمان بن محمد اللهيميد ٤/٧٥].

ثالثا: وطء المستحاضة:

يجوز وطؤها في حال جريان دم الاستحاضة عند جماهير العلماء؛ لأنها كالطاهر في الصلاة والصوم وغيرهما، وكذا في الجماع، ولأنه لا يحرم إلا عن دليل، ولم يأت دليل بتحريم جماعها. قال ابن عباس: المستحاضة يأتيها زوجها إذا صلت، الصلاة أعظم. يريد: إذا جازت لها الصلاة ودمها جار، وهي أعظم ما يشترط له الطهارة، جاز جماعها. [سبل السلام: الأمير الصنعاني ١/١٠٤].

واحتج الجمهور بأدلة منها:

١ - عن عكرمة عن حمنة بنت جحش: (أنها كانت تستحاض وكان زوجها يجامعها).

٢ - وعنه أيضا قال: (كانت أم حبيبة تستحاض وكان زوجها يغشاها). رواهما أبو داود وكانت أم حبيبة تحت عبد الرحمن بن عوف كذا في صحيح مسلم. وكانت حمنة تحت طلحة بن عبيد الله وقد سألتا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحكام المستحاضة، فلو كان حراماً لبينه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال النووي: قال أصحابنا وجامع القول في المستحاضة: إنه لا يثبت لها شيء من أحكام الحيض بلا خلاف، ونقل ابن جرير الإجماع على أنها تقرأ القرآن وإن عليها جميع الفرائض التي على الطاهر. (المجموع ٢/٥٤٢).

فائدة:المستحاضات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فاطمة بنت أبي حبيش - حمنة بنت جحش - أسماء بنت مرثد - زينب بنت جحش - أم حبيبة بنت جحش - سهلة بنت سهيل - أم سلمة - سودة بنت زمعة.

قال ابن عبد البر: «إن ثلاثاً من بنات جحش استحضن: حمنة، وزينب، وأم حبيبة». [إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام: سليمان بن محمد اللهيميد ٤/٧٥].

وإلى هنا ينتهي بنا الحديث عن أحكام الحيض وأحكامه، نسأل الله عز وجل أن ينفع بما ذكرناه، وأن يتقبله منا فهو نعم المولى ونعم النصير.

Upload by: altawhedmag.com

تحذير الداعية

من القصص الواهية

قصة الراكبين الأربعة والبراق في القيامة

إعداد/ علي حشيش

الحلقة ١٢٩

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية؛ حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، خاصة عندما يأتي شهر رجب من كل عام، فتشتهر القصص الواهية المتعلقة بالإسراء والمعراج، ولقد بينا من قبل قصة «اختراق الحجاب ليلة الإسراء»، وقصة «كلام النبي مع ربه ليلة الإسراء والمعراج حول عطائه لأنبيائه»، وقصة «ماشطة ابنة فرعون ليلة الإسراء والمعراج»، وقصة «بدء الأذان ليلة الإسراء والمعراج»، وقصة «بكاء النبي صلى الله عليه وسلم من مشاهد تعذيب النساء ليلة الإسراء والمعراج».

وإن تعجب فعجب أن هذه القصص الواهية تنتشر على ألسنة القصاص والوعاظ في الخطب والمحاضرات والفضائيات والصحف في شهر رجب؛ ظنًّا منهم أن الإسراء والمعراج كان في شهر رجب.

ولقد بيَّن ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف» ص(١٧٧) حيث قال: «وقد رُوي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك، فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم وُلد في أول ليلة منه، وأنه بُعث في السابع والعشرين منه، وقيل في الخامس والعشرين، ولا يصح شيء من ذلك، وروي بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد أن الإسراء بالنبي كان في سابع وعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره». اهـ.

قُلْتُ: لذلك قال الإمام الحافظ المحدث أبو شامة في «الباعث» ص(١٧١): «وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والجرح عين الكذب». اهـ.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق «قصة البراق يوم القيامة».

أولاً: المتن

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلى الله عليه وسلم: «ليس في القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة». قال: فقام عمه العباس فقال له: فداك أبي وأمي، أنت ومن؟ قال: أما أنا فعلى دابة الله البراق، وأما أخي صالح فعلى ناقة الله التي عُقرت، وعمي حمزة أسد الله، وأسد رسوله، على ناقتي العَضْبَاء، وأخي وابن عمي وصهري علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة مُدَبَّجة الظهر، رحلها من زُمُرَّد أخضر، مُضَبَّب بالذهب الأحمر، رأسها من الكافور الأبيض، وذَنَبها من العنبر الأشهب، وقوائمها من المسك الأذفر، وعنقها من لؤلؤ، وعليها قبة من نور، باطنها عفو الله، وظاهرها رحمة

Upload by: altawhedmag.com

الله بيده لواء الحمد فلا يمر بملأ من الملائكة إلا قالوا: هذا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو حامل عرش رب العالمين.

فينادي مناد من لَدُنان العرش، أو قال: من بطنان العرش: ليس هذا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، ولا حامل عرش ربِّ العالمين، هذا عليُّ بنُ أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات رب العالمين، أفلح من صدقه، وخاب من كذبه، ولو أن عابدًا عبدَ الله بين الركن والمقام ألف عام، حتى يكون كالشنِّ البالي لقي الله مبغضًا لآل محمد، أكبَّه الله على مَنْخَره في نار جهنم». اهـ.

ثانيًا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية أخرجه الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢٢/١٣، ١٢٣)، ت(٧١٠٦) قال: «أخبرنا أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندي، أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ - ببخارى - أخبرنا محمد بن نصر بن خلف، وخلف بن محمد بن إسماعيل، قالا: حدثنا أبو عثمان سعد بن سليمان بن داود الشرغي، حدثنا أبو الطيب حاتم بن منصور الحنظلي، حدثنا المفضل بن مسلم - لقيته ببغداد - عن الأعمش، عن عباية الأسدي عن الأصبغ بن نُباتة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس في القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة...» القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذه قصة واهية سندها تالف مسلسل بالعلل:

أ- قال الخطيب في «التاريخ» (١٢٣/١٣): «لم أكتبه إلا بهذا الإسناد، ورجاله فيهم غير واحد مجهول وآخرون معروفون بغير الثقة».

قلت: وأخرج الخطيب هذا الخبر المنكر الذي جاءت به هذه القصة في ترجمة المفضل بن سلم (٧١٠٦) وقال: «المفضل بن سلم، في عداد المجهولين، روى عن سليمان الأعمش حديثًا منكرًا تفرد بروايته عن أهل بخارى». اهـ.

ب- وعلة أخرى غير المفضل بن سلم هو: «الأصبغ بن نباتة».

١- في «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي» ليحيى بن معين (١٤٦): قال الدارمي عثمان بن سعيد: سألت يحيى بن معين عن الأصبغ بن نباتة؟ فقال: «ليس بشيء».

٢- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٤): «الأصبغ بن نُباتة: متروك الحديث».

قُلْتُ: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي؛ حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (٧٠): «ولهذا كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٣- وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (١١٨): «أصبغ بن نباتة: منكر الحديث».

٤- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠١٤/٢٧١/١): وأقر قول الإمام النسائي، والإمام يحيى بن معين، ونقل عن أبي بكر بن عياش أنه قال: «الأصبغ بن نباتة كذاب».

٥- وقال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٤٠٧/١) (٢٢٠/٢٢٠): «أصبغ بن نباتة صاحب علي بن أبي طالب: يروي عنه أحاديث غير محفوظة».

ثم قال: «والأصبغ بن نباتة لم أخرج له هنا شيئًا؛ لأن عامة ما يرويه عن عليّ لا يتابعه عليه أحد». اهـ.

٦- وقال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٦٠/١٢٩/١): «أصبغ بن نباتة حنظلي كوفي كان يقول بالرجعة».

٧- قال الإمام ابنُ حبان في «المجروحين» (١٧٣/١): «أصبغ بن نباتة الحنظلي يروي عن علي بن أبي طالب، روى عنه أهل الكوفة هو ممن فُتن بحب عليّ، أتى بالطامات في الروايات فاستحق من أجلها الترك». اهـ.

٨- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٨١/١): «أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي: متروك رُمي بالرفض».

قلت: من هذا التحقيق يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة: «موضوع»، والموضوع: «هو الكذب المختلَق المصنوع المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم». كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١).

وعلامات الوضع ظاهرة على هذا الخبر كما

لقد رُوي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك، فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم وُلد في أول ليلة منه، وأنه بُعث في السابع والعشرين منه، وقيل في الخامس والعشرين، ولا يصح شيء من ذلك

Upload by: altawhedmag.com

قال الإمام الحافظ المحدث أبو شامة في «الباعث» ص(١٧١): «وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والجرح عين الكذب

بيّنها علماء الصنعة؛ حيث قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع (٢١): «وإنما يُعرف كون الحديث موضوعًا: بإقرار واضعه، أو ما ينزل منزلة إقراره، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي، أو المروي». اهـ.

قلتُ: وبتطبيق هذه القاعدة نجد أن القرينة في الراوي وهو الأصبغ بن نباتة متروك رُمي بالرفض، فالراوي رافضي، والخبر في فضائل أهل البيت وفي فضائل علي رضي الله عنه.

بل والراوي عن الأصبغ بن نباتة: وهو عَبَاية الأسدي أيضًا رافضيّ.

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤١٨٨/٣٨٧/٢): «عَبَايَة بن ربعي من غلاة الشيعة». اهـ.

٢- وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٠٩/٣) (٤٤٥٦/١٠٥).

٣- وقال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٥٧/٤١٥/٣): «عباية بن ربعي الأسدي غالٍ ملحد». اهـ.

وأقر ذلك الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣١٠/٣).

رابعًا: طريق آخر للقصة

هذا طريق آخر مختلق مصنوع بإسناد موضوع على نفس القصة.

أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١١٢/١١- ١١٣) قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النجار، قال: حدثنا محمد بن المظفر، حدثنا عبد الجبار بن أحمد بن عبيد الله السمسار - ببغداد - حدثنا علي بن المثنى الطهوي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عبد الله بن لهيعة حدثنا جعفر بن ربيعة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة». فقام إليه عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: من هم يا رسول الله؟ فقال: «أما أنا فعلى البراق...». القصة.

وكأنها مسروقة، ورُكِّب عليها هذا السند الموضوع، ولذلك أخرجها الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٩٣/١) قال: «أنبأنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت أنبأنا عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النجار به».

خامسًا: التحقيق

١- قال الإمام ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح؛ فابن لهيعة ذاهب الحديث كان يحيى بن سعيد لا يراه شيئًا، وضعّفه يحيى بن معين، وكان يدلّس عن ضعفاء». اهـ.

٢- وقال الخطيب في «التاريخ» (١١٣/١١): «لم أكتبه إلا بهذا الإسناد، وابن لهيعة ذاهب الحديث».

٣- قلت: ولقد جعل الإمام الذهبي هذا الخبر الموضوع المتهم به عبد الجبار بن أحمد السمسار، روى عن علي بن المثنى الطهومي فأتى بخبر موضوع في فضائل عليٍّ رواه عنه المظفر». اهـ.

٤- ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٧٣/٣) (٤٩٠٤/٥٥٣) ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان»، وأقره على أن الخبر الذي جاءت به القصة «موضوع» أيضًا من هذا الطريق، أي كذب مختلق مصنوع، وأنّ المتهم به عبد الجبار بن أحمد السمسار مع ضعف ابن لهيعة.

٥- وأورد هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة من هذا الطريق الإمام ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٣٦٤/١)، وأقر ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان».

قلت: بهذا التحقيق تصبح القصة واهية بطرقها، والخبر الذي جاءت به باطل موضوع.

سادسًا: بدائل صحيحة

إن علاقة البراق بالإسراء والمعراج ووصفه جاء في أحاديث في أعلى درجات الصحة، فليرجع إليها القارئ الكريم، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري (ح٣٥٧٠، ٤٩٦٤، ٥٦١٠، ٦٥٨١، ٥٧١٧)، وكذلك الإمام مسلم (ح١٦٢)، واللفظ له، من حديث أنس.

٢- الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري (ح٣٢٠٧، ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم (ح١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة، واللفظ له.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

Upload by: altawhedmag.com

من روائع الماضي

لماذا التوحيد؟

الحلقة الثالثة

إعداد: الشيخ
محمد عبد المجيد الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

التوحيد أو الإيمان بالله الواحد ضرورة حضارية، فلا ترقى البشرية ولا تسعد الإنسانية إلا إذا كان الإنسان حرًا غير مستعبد، وطليقًا غير مقيد إلا بقيد من الفضيلة أو حد من حدود الأخلاق إيقاظًا للضمائر وإحياء للمشاعر وإرهافًا للأحاسيس في المؤمنين، فلا يعيشون كما يعيش أولئك الملحدون والوجوديون والدهريون الذين يحيون كما تحيا البهائم؛ كل همهم تحصيل الشهوات وإدراك الملذات غير مبالين بصالح المجتمع ولا بمصير الشعب، ولا بمقدرات الأمة فهم عبيد الشهوة من مال أو جاه أو سلطان أو نساء أو سمعة أو رياء.

ومصدر كل هذا: البغي بغير الحق والإفساد في الأرض وهتك العرض... عقيدة ملحدة لا تؤمن بيوم الحساب، ولا تخشى يوم التناد، فهم ينكرون وجود الله، ويظنون -وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا- ألا مرد لهم إلى الله كما يحكي عنهم القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

لذا بعث الله الرسل بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز.

١- وهل يقوم الناس بالقسط إلا إذا آمنوا بالبعث والجزاء؟

٢- وهل ينصر الناس ربهم ورسله مسترخصين أنفسهم وأموالهم إلا إذا كان هناك ثواب.

٣- وهل يرعوي المجرمون والمفسدون عن فسادهم والعابثون عن عبثهم إلا إذا أيقنوا أن هناك رادعًا من عقاب؟

٤- وهل يؤمن الناس بهذا وذاك إلا إذا آمنوا بالله الواحد، وأنه على كل شيء قدير، وأنه حكم عدل، وأن من عدله أن يزن الأعمال بالذرة كما أخبرنا سبحانه بقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨]، وأنه قادر على أن يعيد خلقهم بعد موتهم، وهو أهون عليه كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

ومن ثم كان التوحيد ضرورة تمد المجتمعات البشرية بكافة وسائل الحضارة، وتصلهم بكل أسباب المدنية، وتحوطهم بسياج من العقيدة الصافية والأخلاق الفاضلة والآداب العالية والأفكار السامية ليعلموا أن الإنسانية عزة وكرامة، وأن الحياة البهيمية ذلة ومهانة، وأن العزة لا تتحقق إلا بصفاء العقيدة بالله الواحد ونقاء السريرة وسلامة الطوية وحسن النية وسمو الروح وطهر القلب وزكاة النفس.

وأن كل أولئك لا تنبع إلا من الأخلاق الكريمة، وأن الأخيرة مصدرها الإيمان بالجزاء، وأن الإيمان بالجزاء أمر مترتب على البعث، وأن الذي بيده البعث والجزاء هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

ومن ثم جاء الرسل جميعًا لإقرار عقيدة التوحيد في نفوس البشرية، فيقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ويقول عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]، كما يقول

Upload by: altawhedmag.com

أيضًا: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [النحل:٣٦].

فهذا نوح يحكي الله عنه فيقول: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [نوح: ١- ٤].

وهذا هود عليه السلام يقول لقومه عاد: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ [هود:٥٠].

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا [هود:٦١].

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ [الأعراف:٨٥]، وبعد ما يقص الله علينا في سورة هود قصة موسى، وأن الملأ من قوم فرعون اتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد، يقول ربنا سبحانه لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود:١٠٠- ١٠٢]. كأن الله يريد أن يبين لنا أن الناس ظلموا أنفسهم باتخاذ الأنداد من دون الله، ودعائهم، وأن دعاءهم لا يغني ولا يفيد، وأن دعاء الله والتحاكم إلى غير الإله الواحد لا يزيد الناس إلا خسارًا ودمارًا، وأن الذين اتبعوا أمر فرعون ولم يتبعوا أمر الله فقد اتخذوه إلهًا من دون الله، وكذلك كل من يتبع قول حاكم أو عالم أو شيخ طريقة أو رئيس جماعة أو واعظ يخالف أمر الله ولا يتفق مع القرآن والسنة فقد اتخذه ندًا لله، بل يكون قد عبده من دون الله كما يحكي لنا عدي بن حاتم حينما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يقرأ قول الله عز وجل: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ [التوبة:٣١]، فقال عدي رضي الله عنه: يا رسول الله، والله ما عبدناهم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ألم يكونوا يحلون لكم الحرام ويحرمون لكم الحلال فتتبعونهم، فتلك عبادتهم.
[الترمذي ٣٠٩٥ وحسنه الألباني].

وبهذا يشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا، والشرك أعظم الظلم كما بيّن لنا ذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان:١٣].

والسحر والعيافة والكهانة والعرافة تناقض التوحيد الخالص؛ لأنها جميعًا ضرب من ضروب التنجيم، والتنجيم هو معرفة المستقبل وما سينزل من مطر وما سيقع من نفع أو ضرر برصد النجوم وهو أمر منهي عنه، كما قال البخاري في صحيحه - قال قتادة: «خلق الله النجوم لثلاث؛ زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها».

وقال ابن رجب: «المأذون في تعلمه من التنجيم هو علم التسيير لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرم». وأما التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه المرء في الاهتداء إلى الطرق ومعرفة القبلة عند الجمهور.

ويقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، ويروي ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتبس بابًا من علم النجوم لغير ما ذكر الله اقتبس شعبة من السحر، المنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر» [أحمد (١/ ٢٢٧) (٢٠٠٠) وحسنه الألباني مختصرًا].

والعرافة وما أدراك ما العرافة، شر مستطير وبلاء كبير على العراف نفسه؛ لأنه يدعي علم الغيب، وعلى الذي يسأله إذا صدقه فقد كذّب صريح القرآن؛ لأن الغيب كله لله.

والعراف هو ذلك الذي يزعم معرفة مكان الشيء المسروق ومكان الضالة وهو الذي يدعي إظهار الأمور الغيبية وتعريفها للناس قبل وقوعها، وهذا منه تكهن على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به فلا يعلم الغيب سوى الله، ولهذا يقول الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [لقمان:٣٤]، وادعاء علم الغيب من الكبائر كما قال الذهبي.

والتوحيد - يعني عبادة الإله الواحد - لا يرفض صنعة التنجيم إلا لمنافاتها العقيدة السليمة، وأنها تفضي بالمسلمين إلى الخلل في عقائدهم، والمسلم يعلم أن الغيب كله لله حتى لا يتواكل؛ لأن التواكل يؤدي بالإنسان إلى الجمود، كذلك الذي ينتظر من السماء أن تمطر ذهبًا وفضة وهكذا تنحدر الأمة التي لا تعرف التوحيد إلى التواكل، وهذا ينتهي بها إلى الجمود الذي يهوي به إلى الحضيض ثم تكون الاستكانة والذلة، والله لا يرضى المذلة للمؤمنين كما يقول سبحانه: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [المنافقون:٨]، ولهذا يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرافة لخطرها وشرها، فيقول في رواية عند مسلم عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [مسلم ٢٢٣٠].

ويدخل في مفهوم العرافة أو التنجيم أصحاب النجوم، وضاربو الرمل، وفاتحو الكتاب، وكاتب الحجاب وأهل الكشف والجفر وأهل الاستخارة غير الشرعية المدعين للتعريف والتعيين؛ المخبرين بالأمور الغيبية والمعرفين بها للناس.

والحمد لله على نعمة الإسلام والسنة.

Upload by: altawhedmag.com

الأخذ بالأسباب

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وبعد:

سبق وأن ذكرنا أن على المسلم أن يأخذ بالأسباب، ولا يتركها، ولا يعتقد فيها؛ إذ إن الأخذ بالأسباب من تمام التوكل على العزيز الوهاب، وترك الأسباب قدحٌ في الربوبية، والاعتقاد فيها شركٌ بالله، وقصص القرآن مليئة بهذه الثلاثة؛ وليس أدل على ذلك من قصة نوح عليه السلام والتي ورد ذكرها في سورة هود عليه السلام؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ *[هود: ٣٦- ٣٧].*

فقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ فعل أمر يقتضي الوجوب، وهذه دعوة للأخذ بالأسباب، فقد كان الله عز وجل قادرًا على أن ينجي نوحًا ومن معه دون الحاجة إلى صنع السفينة، وذلك بأن يرفعه مثلاً إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام، ولكنه أمره أن يأخذ بأسباب النجاة من الغرق الذي توعد به سبحانه مَن لم يؤمن من قومه وذلك بصنع السفينة.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود:٣٨، ٣٩].

يقارن الله عز وجل في الآية السابقة بين أخذ المؤمنين بالأسباب، وأخذ الكافرين بها، فالمؤمن يأخذ بالأسباب ولا يعتقد فيها، بينما الكافر يأخذ بها ويعتقد فيها، فهذا نبي الله نوح عليه السلام حينما جاءه الأمر بصنع السفينة امتثل الأمر، ولم يسأل ربه أين ستبحر هذه السفينة؟! وذلك لعلمه أن الله عزَّ وجلَّ سيهيئ لها الأجواء التي تبحر فيها، بينما كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، قالوا: يا نوح كنت بالأمس نبيًا وأنت اليوم نجارٌ !! يا نوح أين ستبحر هذه السفينة هل ستسير على الرمال؟! أم ستطير في الهواء؟!

فأجابهم نوح عليه السلام إجابة الواثق من ربه العارف بقدره: ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود:٣٧، ٣٨].

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

أي حتى إذا جاء أمر الله الكوني القدري بإغراق الكافرين ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي أنزل الله من السماء ماء منهمرًا وفجر الأرض كلها عيونًا، حتى التنور الذي هو تفجر، فالتقى الماء على أمر قد قُدِر، قال تعالى لنوح: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي من كل صنف من أصناف المخلوقات ذكرًا وأنثى من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات.. إلخ، وذلك لتبقى مادة سائر الأجناس، وهذا الأمر الرباني لنوح عليه السلام دعوة للأخذ بالأسباب وذلك للآتي:

> **على المسلم أن يأخذ بالأسباب، ولا يتركها، ولا يعتقد فيها؛ إذ إن الأخذ بالأسباب من تمام التوكل على العزيز الوهاب، وترك الأسباب قدحٌ في الربوبية، والاعتقاد فيها شركٌ بالله**

أولاً: أن التكليف لم يكن إلا للإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ومن ثَم فسائر المخلوقات غير مكلفة، فلِمَ يحملها معه نوح عليه السلام؟!

ثانيًا: ألم يكن الله عزَّ وجل بقادر على أن يعيد الحياة إلى

Upload by: altawhedmag.com

في ضوء قصة نوح عليه السلام

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

سالف عهدها مرة ثانية بعد الطوفان؟! وهو القائل: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:١٩]، إذن فأمره نوحًا عليه السلام بحمل نوعين من جميع أصناف المخلوقات ذكر وأنثى، حتى يتم التزاوج بين الذكر والأنثى فتعود الحياة إلى سالف عهدها مرة ثانية، بعد هلاك جميع المخلوقات بالطوفان، وهذه دعوة للأخذ بأسباب البقاء، ثم أمره سبحانه أن يحمل معه أهله المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون:٢٧]، وبيّن أن أتباع الأنبياء الذين يأخذون بالأسباب الشرعية للنجاة قلة، فقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود:٤١].

هذه دعوة من نبي الله نوح عليه السلام إلى الأخذ بأسباب النجاة وعدم الاعتقاد فيها، فقال اركبوا في السفينة، ولكن اعلموا أن السفينة لا تسير بقدرة الرياح ولا بقدرة ما فيها من الآلات، وإنما تسير بقدرة الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١]، والحق تبارك وتعالى قد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس:٢٢]، فليست الأقدام إلا وسيلة وسببًا للمشي والسير، والذي يسيّرنا حقيقة هو الله عز وجل، وقد يذهب رجل إلى أطباء العالم بساقين لا تقويان على حمله فضلاً عن تسييره، ويحار الأطباء في حالته، ولا يجدون له علاجًا، ثم إذا شاء الله له السير، قام كأنما نشط من عقال، فلو كانت الأقدام هي التي تسير ما قعد صحيح عن السير!!

وقد تتوقف الدواب عن السير بعصياننا لله عز وجل، وقد صدق سفيان الثوري حيث قال: «إني لأجد أثر معصيتي في زوجتي ودابتي». ولذلك إذا أردنا لهذه الدواب السير فقد أمرنا الله عز وجل بتذكر تلك النعمة العظيمة: نعمة تسخير الدواب لنا، حين نعتلي ظهورها فنذكره سبحانه وتعالى، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٢- ١٤]، فهو سبحانه الذي سخّر لنا الدواب والفلك والبحر، فسبحان الله، لو أتينا بمسمار صغير وألقيناه في البحر، لغاص في الماء حتى يستقر في القاع، فمن الذي حمل سفينة عملاقة مصنوعة من الحديد تزن آلاف الأطنان وتحمل آلاف الأطنان على صفحة المياه؟!

سيقول العلمانيون: قانون الطفو، ونرد عليهم ومن الذي أوجد ذلك القانون؟!

إنه القائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أي: كالجبال، ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٢- ٣٤]، ففي عام ١٩١٢م صنع الغرب أضخم سفينة عرفتها البشرية آنذاك: طول السفينة حوالي ٣٠٠ متر وعرضها ٣٠ مترًا، وارتفاعها ٣٣ مترًا، وقسموا قاع السفينة إلى ٣٢ جزءًا، وجعلوا بين كل جزأين بابًا يغلق في حالة تسرب المياه إلى القاع، وقالوا: إن السفينة قادرة على الإبحار حتى ولو امتلأت خمسة أجزاء من الاثنين والثلاثين، وأطلقوا عليها اسم «تيتانك» أي: المارد، وقالوا عنها: إنها السفينة التي لا تغرق، وبدأت السفينة في أول رحلة لها من ميناء «كوينجستون» بإنجلترا إلى ميناء «نيويورك» بأمريكا في

هناك فارق مهم بين أخذ المؤمنين بالأسباب، وأخذ الكافرين بها، فالمؤمن يأخذ بالأسباب ولا يعتقد فيها، بينما الكافر يأخذ بها ويعتقد فيها

Upload by: altawhedmag.com

العاشر من أبريل عام ١٩١٢م، وعلى متنها عظماء العالم وأثرياؤه، ومرت الأيام الأربعة الأولى من الرحلة بسلام، وكان الركاب سعداء باقتناص هذه الفرصة العظيمة، وفي اليوم الخامس من الرحلة أُخبر ربان السفينة من قِبل البحرية الكندية بدخول منطقة جبال جليدية، فتعجب الربان، ولم يلق بالاً لهذا التحذير لظنه عدم وجود جليد في هذا الوقت من العام، وفي المساء ذهب إلى قمرته لينام ونبّه على مساعده بقيادة السفينة، وبينما أهل السفينة في سبات عميق، ومن استيقظ منهم كان يستمع إلى الموسيقى ويشرب الخمر ويرقص مع النساء، إذا السفينة ترتطم بمؤخرتها بالجبل الجليدي وتهتز هزة خفيفة لم يشعر بها إلا بعض الركاب المستيقظين، فصعدوا إلى سطح السفينة، ووجدوا كرات الثلج وقد تساقطت على السطح، فسروا بذلك، وقال بعضهم: لنصنع فريقًا للكرة في الصباح، ثم اكتشف الجميع الكارثة، وجود ثقب كبير في جسم السفينة، وسرعان ما غمرتها المياه وبدأت في الغرق، ولم ينج من ركابها الذين زاد عددهم على الألفين وسبعمائة، إلا نحو سبعمائة وخمسة ركاب، وهنا أيقن الغرب بأنه ليست هناك سفينة محصنة من الغرق، وخرجت الصحف في أوروبا وأمريكا تقول: «السفينة التي لا تغرق تقبع الآن في قاع المحيط».

فانظر أخي الحبيب إلى الاعتقاد في الأسباب ماذا حل بأهله؟ هؤلاء اعتقدوا في السفينة، فتركهم الله وشركهم وأغرقها الله وركابها، مع عدم وجود رياح ولا أمواج عاتية ولا أعاصير، وقارن بين ما فعل هؤلاء وبين ما قاله نوح عليه السلام لقومه: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١] أي: لا تعتقدوا في الأسباب بعد أن تأخذوا بها، فماذا كانت عاقبة إيمان نوح ومن معه؟ قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود:٤٢]، فالطبيعي أن يضرب هذا الموج العنيف - الذي وصفه الله عز وجل في قوته وارتفاعه وعتوه بالجبال - السفينة ويجعلها كالريشة في مهب الرياح، بل والطبيعي أن تملأ المياه سطح السفينة فتغرق، ولكن لإيمان ركابها بالله وعدم اعتقادهم فيها، فقد حفظها الله وحفظ أهلها من الغرق.

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود:٤٢]، وهذه أيضًا دعوة للأخذ بالأسباب الشرعية للنجاة؛ الإيمان بالله عز وجل، والعمل الصالح ومصاحبة الأخيار، أما من ترك ذلك وقال: «أنا قلبي أبيض ويوم الجحيم ربك رحيم». فهو وَاهِمٌ قد أساء الظن والأدب مع ربه، فأين هو من قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠].

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣].

هذا يبين لك أخي الحبيب أن العصاة لا يتركون بحال من الأحوال الاعتقاد في الأسباب: فقد ظن هذا الجاهل أنه لو اعتلى أعلى جبل في القرية فسينجو من الغرق، ولأن نوحًا عليه السلام يعلم أن الماء مأمور وأنه لا يجوز الاعتقاد في الأسباب رد عليه قائلاً: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود:٤٣]، ولم يقل له: لا عاصم اليوم من الماء، فالعصمة ليست من الماء، وإنما من أمر الله سبحانه، ولا يُعْصَم من أمر الله إلا من رحمه الله سبحانه، ولذلك لما اعتقد ذلك الكافر في الأسباب تركه الله عز وجل لما اعتقد فيه، فكان هلاكه: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣].

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٤٤].

ثم جاء الأمر من الملك إلى جنوده، فقال تعالى للأرض: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود:٤٤] الذي خرج منك والذي نزل إليك، ثم قال للسماء: ﴿أَقْلِعِي﴾، فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها وأقلعت السماء وغيض الماء أي نضُب من الأرض وقُضي الأمر بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين واستوت السفينة على جبل الجودي بأرض الموصل وقيل بعدًا للقوم الظالمين، أي: أُتبعوا بهلاكهم لعنة وبُعدًا وسحقًا لا يزال معهم.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]، وبعاطفة الأبوة التي تجيش في صدر نوح عليه السلام يتوجه إلى ربه بالدعاء، فيقول: رب، إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، وقد قلت لي: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود:٤٠].

قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]

Upload by: altawhedmag.com

ليس لأنه كان ابن زنى، فهذا لا يليق بالأنبياء، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «والذي نفسي بيده ما زنت امرأة نبي قط». أما قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠]. فالخيانة كانت في الرسالة، ولم تكن في العرض.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧].

حينئذ ندم نوح عليه السلام ندمًا شديدًا على ما صدر منه وأخذ بأسباب النجاة، فقال: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، ودل هذا على أن نوحًا عليه السلام لم يكن عنده علم بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه محرمٌ داخل في قوله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧]، بل تعارض عنده الأمران وظن دخوله في قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وبعد هذا تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم والمراجعة فيهم.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:٤٨].

ثم قال تعالى لنوح عليه السلام: اهبط إلى الأرض من السفينة أنت ومن معك من الآدميين وغيرهم من الأزواج التي حملها معه، فبارك الله في الجميع حتى ملأوا أقطار الأرض ونواحيها، ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ [هود:٤٨] في الدنيا: ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ﴾ [هود:٤٨] أي أن هذا الإنجاء ليس بمانع لنا من أن من كفر بعد ذلك أحللنا به العقاب وإن مُتعوا قليلاً فسيؤخذون بعد ذلك.

فانظر أخي الحبيب كيف كان نوح عليه السلام ومن معه، وكيف رباهم عليه السلام على الأخذ بالأسباب وعدم تركها وعدم الاعتقاد فيها، وقارن بين هدي الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وما يفعله البعض منا الآن من ترك للأسباب، والله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة:١٠٥]، بل منا من يعتقد في الأسباب فيقول: أنا متزوج منذ أكثر من خمس سنوات وليس بي وبزوجتي عيب، فلماذا لم تنجب زوجتي حتى الآن؟ وقد تغاضى عن قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩- ٥٠]، فعلينا باقتفاء هدي الأنبياء والمرسلين والصالحين، فـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

والله الموفق.

بشرى سارة

تعلن إدارة مجلة التوحيد للإخوة الكرام قراء المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء. لذا نعلن عن استقبال أسئلة القراء عن الفتاوى وكل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى بالجماعة ونشرها بالمجلة: حتى تعم الفائدة؛ وذلك على البريد الإلكتروني التالي:
q.tawheed@yahoo.com

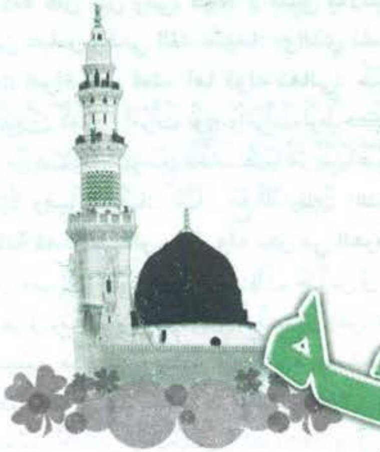
تنويه وتعريف

صدر حديثًا بالأسواق كتاب «إرشاد الحبيب إلى زاد الداعية والخطيب»، وهو عبارة عن مجموعة مقالات للكاتب المستشار / أحمد السيد علي إبراهيم، والتي سبق نشرها بمجلة التوحيد، وغيرها من الجرائد المصرية، ويطلب من دار ابن خلدون للطبع والنشر بالإسكندرية. ت: ٠١٧١٢٩٦٢٥٢- ٠١٢٧٨٩٩٤٦٠

إشهار فروع

تم بحمد الله تعالى إشهار الفروع التالية:
١- فرع أنصار السنة المحمدية بالحميدية، منيا القمح بناحية الحميدية، برقم (٢٠٧٩) بتاريخ ٢٠١١/٤/٥م.
٢- فرع أنصار السنة المحمدية ببطرة - مركز طلخا - دقهلية، برقم (١٩٠٢) بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٨م.
٣- فرع أنصار السنة المحمدية بالضهرة والنجارين، محافظة دمياط، برقم (٥٠٣)، بتاريخ ٢٠١١/٤/١٢م.
٣- فرع أنصار السنة المحمدية بالترزي م. بلقاس - دقهلية برقم (١٩٠٦) بتاريخ ٢٠١١/٥/٢م.

Upload by: altawhedmag.com



محمد صلى الله عليه وسلم

والذين معه

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على نبي الهدى، والنور المجتبى، والداعي المقتفى، وبعدُ:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

أولاً: تأملات في الآية الكريمة:

تحقيق معنى (معه):

ذكر كثير من المفسرين أن معنى الذين معه هم أصحابه، قال الطبري هم أصحابه الذين هم معه على دينه. (الطبري: ٢٢/١٢٦١).

وقال ابن عطية: إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور، وحكى الثعلبي عن ابن عباس أن الإشارة إلى من شهد الحديبية. (المحرر الوجيز ٦/١٦٢).

وقال ابن الجوزي: هم أصحابه، وقال الثعالبي: جميع الصحابة عند الجمهور. [٣/٤٦٦].

وقال السعدي: أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال الشوكاني: قيل هم أصحاب الحديبية والأولى الحمل على العموم. [فتح القدير: ٥/٥٥].

وقال الزحيلي: أصحابه من المؤمنين. [التفسير المنير ٢٦/٢٠٥].

وقال البغوي: والذين معه من المؤمنين. [معالم التنزيل: ٧/٣٢٣]، وقال الطبراني: مثله.

قلت: ومن قال إن الذين معه هم أصحابه، فقد ضيق الواسع وقلل الكثير، ولكن الذين معه هم كل من آمن به حتى آخر مؤمن في هذه الحياة الدنيا، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]. والجهاد ماض إلى يوم القيامة والتعرض للابتلاء كذلك، وحدث هذا لرسول الله وأصحابه، ويستمر إلى يوم الدين حينما يُبتلى المؤمنون فيقولون: متى نصر الله، وهم داخلون في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾، وقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة التوبة:٨٨]، والجهاد لم يتوقف عند عصر الصحابة، والذين يجاهدون مع عيسى عليه السلام، ومع محمد المهدي هم مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي يُكذب الدجال هو مع النبي صلى الله عليه وسلم وجاهد بنفسه وهو من المفلحين.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ

Upload by: altawhedmag.com

لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم:٨]، والذين معه شاملة لآخر مؤمن بالله ورسوله يولد في هذه الحياة هو مع محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن جميع من سمع عنه صلى الله عليه وسلم ولم يكن معه سوف يتحسر يوم الحسرة على تركه السير مع النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به، ولزوم ما تركه من كتاب وسنة، قال تعالى: وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ [الفرقان:٢٧].

وسبيل الرسول قائمة إلى يوم الدين، ومن سلك هذه السبيل فهو مع الرسول، وإن تباعدت به الأقطار كما سلكها النجاشي ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وكما سلكها أويس القرني ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، بل تمنى النبي صلى الله عليه وسلم رؤية إخوانه الذين هم معه على طريق الإيمان، فعن أبي هريرة قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أن قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. [مسلم: ٦٠٧].

وكذلك قوله تعالى: وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ [الواقعة:١٠-١٤]، فالسابقون كثيرون في القرون الأولى قلة في القرون التالية، وقال تعالى: لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ [الواقعة: ٣٨- ٤٠]، ومن المعلوم أن السابقين وأصحاب اليمين كلهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى طريقه.

فخلاصة القول أن الذين مع النبي هم جميع من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء صحبه أو لم يصحبه، وإن كان الصحابة هم في المقام الأول، ولكن ما نقول به -إن شاء الله- أن الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم هم جميع من آمن به من الإنس والجن، وجميع من رآه أو لم يره، وجميع من صحبه أو لم يصحبه، وهم موصوفون بهذا الوصف الجميل في هذه الآية.

٢- تقديم النتيجة على السبب أو المتعدي على الذاتي:

وهذا يؤخذ من قوله تعالى: أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ [الفتح:٢٩] قُدمت على قوله تعالى: تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا [الفتح:٢٩]، كأن التراحم بينهم والشدة على الكفار هي نتيجة الركوع والسجود ابتغاء مرضات الله، فهذا وصف أصيل في من معه صلى الله عليه وسلم، فهل الذين هم أشداء بينهم الآن هذه الشدة بسبب ركوعهم وسجودهم أم بسبب أن

سبيل الرسول قائمة إلى يوم الدين، ومن سلك هذه السبيل فهو مع الرسول، وإن تباعدت به الأقطار كما سلكها النجاشي ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وكما سلكها أويس القرني ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم

ركوعهم وسجودهم لم ينتجا شيئًا، وهل هم في هذه الشدة بينهم، والرحمة مع الكافرين، هل هم مع محمد صلى الله عليه وسلم، والوجه الآخر في إعجاز النظم القرآني أنه قدم الخير المتعدي إلى الغير على الخير الذاتي، فالركوع والسجود ابتغاء مرضاة الله خير للإنسان، ولكن الرحمة لإخوانه والشدة على أعدائه وأعداء إخوانه متعد إلى الغير، فهل نحن الآن بهذه الشدة بيننا والرحمةً مع الكافرين مع محمد صلى الله عليه وسلم أم ابتعدنا كثيرًا عن وصف الذين معه؟!!

٣- البلاغة في الظرف القرآني [في وجوههم] ولم يقل سبحانه على وجوههم لبيان أن الصلاح عمَّر القلوب وتشربته حتى ظهر على الوجوه، ولكن لو قال على وجوههم كان صلاحًا يراه الناظر فقط، لكن لم يتأصل في القلوب، كما في قوله تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ [المنافقون:٤]، فهؤلاء صلاحهم طلاء، أما الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم فصلاحهم مغروز في أبدانهم ساكن قلوبهم ظاهر في وجوههم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة». [حسنه الألباني، الأدب المفرد ٧٩١]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

٤- البلاغة في الفعل تراهم:

جاء التعبير بالمضارع ليؤكد ما قلناه من قبل أن الذين مع محمد هم المؤمنون به، فلا يُرى أحد من أصحابه الآن، ولكن ترى الذين معه ركعًا سجدًا تأكيدًا على أن التراحم المستمر بينهم والغلظة والشدة على

Upload by: altawhedmag.com

وعن جرير بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس». [البخاري: ٤١٤، ١٦٧٢].

ثالثًا: صور من التراحم:

١- التراحم في الصلاة والقراءة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «ألا إن كُلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم علىّ بعض في القراءة، أو قال في الصلاة». [صحيح الجامع: ٢٦٣٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقيموا صفوفكم فإنما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا في أيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشياطين، ومن وصل صفًا وصله الله تبارك وتعالى، ومن قطع صفًا قطعه الله تبارك وتعالى». [مسند أحمد: ٩٧، وصححه شعيب الأرناؤوط].

والشاهد من ذلك أن يكون أتباع محمد صلى الله عليه وسلم رحماء في صلاتهم ببعضهم، ويقبل أحدهم من أخيه تسوية الصف، ويلين في يده إذا أخذ بيده ليسوّي الصف، وهذا دليل على لين القلوب، وكذلك التراحم في العبادة فلا يظن أحدهم أنه هو الذي يقرأ ويناجي ربه وحده، بل إخوانه كذلك، فلا يرفع عليه صوته وإن كان بالدعاء، وقراءة القرآن، فكيف لو كان بالسب والقذف والتفسيق والتنابذ الفكري وإلقاء التُهَم.

٢- التراحم في الحج:

عن جرير بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حيث أفاض من عرفات: «أيها الناس، عليكم السكينة والوقار، ولا يقتل بعضكم بعضًا». [مسند أبي يعلى: ١٨٥٢].

فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكون الحصى مثل حصى الخذف - قدر حبة الفول - حتى لا يؤذي بعضهم بعضًا في رمي الجمار، وكذلك التراحم عند الطواف والنفر من عرفة إلى مزدلفة، فهل الذين يرمون بعضهم اليوم بالقذائف الحية من المدافع والبنادق هم من أتباع محمد ومن الذين معه؟ وهل هم رحماء بينهم وهل لو استعانوا بالمشركين والكفار على بعضهم فعلى من يكونوا أشداء؟!

٣- التراحم مع الأبناء:

عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى عائشة فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة فأكل الصبيان التمرتين، ونظرا إلى أمهما فعمدت إلى التمرة فشقتها فأعطت

> **بكى النبي صلى الله عليه وسلم على من مات من أحفاده على فراشه دون قتل، فأين التراحم مع الذين يُقتلون ليلاً ونهارًا من المسلمين بأيدي مسلمين؟**

أعدائهم هي ثمرة دوامهم على الركوع والسجود، وإذا رأينا ناسًا ركعًا سجدًا ولكنهم أشداء بينهم رحماء بالكفار علمنا بعدهم عن معية محمد صلى الله عليه وسلم كل إنسان أو فريق بحسبه.

٥- البلاغة في قوله: «بهم»:

الذين مع محمد أداة لتنفيذ مراد الله في أعداء الله، فهم سجدوا لربهم طالبين رضوانه، فاستعملهم في إغاظة أعدائه، وجزاهم على ذلك أحسن الجزاء، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة التوبة:١٢٠]، قال ابن كثير: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. [ابن كثير: ٤/٢٦١].

ثانيًا: رسولهم يأمرهم بالتراحم:

علمنا أن الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم هم كل المؤمنين به رجالاً ونساء كبارًا وصغارًا حتى الخدم والعبيد، يأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتراحم بينهم، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحمُ الخلق بينهم، وتسعة وتسعون ليوم القيامة». [مسلم: ٧١٥١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله». [سنن الترمذي: ١٩٢٤، وصححه الألباني].

Upload by: altawhedmag.com

كل صبي نصف تمرة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة فقال: وما يعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها. [صحيح الأدب المفرد: ٤١].

ولما توفي حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا رحمة يضعها الله في قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». [البخاري: ١٦٦، ومسلم: ٢١٧٤].

فهذا بكاء النبي صلى الله عليه وسلم على من مات من أحفاده على فراشه دون قتل، فأين التراحم مع الذين يُقتلون ليلاً ونهارًا من المسلمين بأيدي مسلمين؟

٤- التراحم باقتسام الأشياء:

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرجهن في الفطر والأضحى والعواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتُلْبِسْهَا أختها من جلبابها». [البخاري: ١٩٦، ومسلم: ٢٠٩٣]. والخدور: الستور. والعواتق: الشابات أول ما تبلغ. والشاهد هو التراحم واقتسام الملابس حتى يحضر كل النساء، ويشهدن العيدين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصورة أخرى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: اطلبوا من معه ماء ففعلنا فأتي بماء فصبه في إناء، ثم وضع كفيه فيه فجعل الماء يخرج بين أصابعه، ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فملأت بطني منه واستقى الناس، قال عبد الله: قد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. [مسند أحمد: ٤٣٩٣].

والشاهد هو استدعاء ما عند بعض المسلمين ليعم جميع المسلمين؛ لأنهم رحماء بينهم، والآن عندهم ثروات وبترول يخرج لصالح أعداء المسلمين سدادًا لتكاليف الشدة والقتال بين المسلمين!!

٥- التراحم مع الخدم:

الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم يتراحمون مع خدمهم المسلمين؛ لأنهم جميعًا أسلموا لله رب العالمين، عن المعرور عن أبي ذر رضي الله عنه قال - أي المعرور - رأيت عليه بردًا وعلى غلامه بردًا، فقلت له: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة، وأعطيته ثوبًا آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أساببت فلانًا، قلت: نعم، قال: أفنلت من أمه؟ قلت: نعم. قال: إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت على حين ساعتي هذه من كبر السن، قال: نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه. [البخاري: ١٩، ومسلم: ٤٤٠٣]، والشاهد التراحم والمواساة بإطعام الخدم وكسوتهم؛ لأن الخادم والمخدوم من الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم.

٦- التراحم مع الجن:

قال الله تعالى: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا [الجن:١٤]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم. [مسلم: ٤٥٠].

رابعًا: أوصاف على خلاف الآية:

الأصل كما تقدم في الآية العظيمة هو أن من مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمؤمنات رحماء بينهم أشداء على الكفار، ولكن إذا وُجد خلاف ذلك كان الشر والخبل وفقدان العقول وتنكب صراط الرسول، وتحدث الشدة على المسلمين ربما بكلمة أو مسألة، وقد حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن التشريع والتنزيل.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بين يدي الساعة لهرجًا». قال: قلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: القتل، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنا نقتل الآن من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله « ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضًا حتى يقتل الرجل أخاه وابن عمه وذا قرابته». فقال بعض القوم ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُنزع عقول أكثر ذلك الزمان ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم. ثم قال الأشعري: وأيم الله إني لأظنها مدركتي وإياكم، وأيم الله ما لي ولكم منها مخرج إن أدركتنا فيما عهد إلينا نبينا إلا أن نخرج كما دخلنا فيها. [الصحيحة: ١٦٨٢].

فإلى الله المشتكى، وصلى الله على نبينا محمد.

Upload by: altawhedmag.com

آداب حرية الرأي والتعبير

الحلقة الثالثة

إعداد/ سعيد عامر

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد سبق في اللقاء السابق الحديث عن مفهوم الديمقراطية ومفهوم الشورى، وبيّنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية أوجبا الشورى في قواعد عامة وليس في قواعد تفصيلية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثير المشاورة لأصحابه، مع أنه لم يكن في حاجة إلى مشاورتهم؛ لأن العناية الإلهية تهديه سواء السبيل، ولكنه -كما قال العلماء-: كان يشاورهم تطييبًا لقلوبهم من ناحية، ولكي يقتدوا به في المشاورة من ناحية أخرى.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى بتطبيقه مبدأ المشورة في أسمى معانيه، والوقائع الكثيرة شاهدة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نزل عن آرائه آخذًا برأي غيره، فمن ذلك:

في غزوة بدر

لما انتهت معركة بدر استشار صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - في الأسرى ماذا يفعل بهم [مسلم ١٧٦٣]، فاختلف رأيهما، فقال: «لو اجتمعتما ما عصيتكما». وكان رأيه موافقًا لرأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي أشار بالفداء، فأنفذ رأيه، ثم نزل القرآن الكريم يؤيد رأي عمر رضي الله عنه، وذلك في قوله تبارك وتعالى: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ. وغير ذلك كثير، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لم يكن أحد أكثر مشاورةً لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم». [راجع: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص٧٥].

وقال الإمام البخاري: بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ وَأَنَّ الْمُشَاوَرَةَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ لِقَوْلِهِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَاوَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْمُقَامِ وَالْخُرُوجِ فَرَأَوْا لَهُ الْخُرُوجَ فَلَمَّا لَبِسَ لأْمَتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْعَزْمِ، وَقَالَ لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ، وَشَاوَرَ عَلِيًّا وَأُسَامَةَ فِيمَا رَمَى بِهِ أَهْلُ الإِفْكِ عَائِشَةَ، فَسَمِعَ مِنْهُمَا حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ فَجَلَدَ الرَّامِينَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تَنَازُعِهِمْ وَلَكِنْ حَكَمَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَكَانَتْ الأَئِمَّةُ بَعْدَ

Upload by: altawhedmag.com

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُونَ الأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». [صحيح البخاري ٣٦٦/١٨]

الخلفاء والشورى

الخلفاء الراشدون الأربعة الذين تولوا رياسة الدولة على التعاقب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ساروا على مبدأ الشورى، والتزموا بالعمل به، فكانت الأمور التي بيّن القرآن والسنة حكمها، يسيرون فيها على ما أمر الله ورسوله، وأما المسائل التي تَعِنّ لهم، وليس في القرآن والسنة حكمٌ خاص بها، فإنهم كانوا يلجأون فيها إلى عقد مجلس للشورى، للنظر فيما يحدث من هذه الأمور.

يقول ميمون بن مهران: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ورد عليه حكمٌ نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به، قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله، نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنّها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.

وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة، سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به. [راجع بتوسع إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية: ٦٢/١].

فأبو بكر وعمر - إذن - كانا يستشيران الناس، وقد نظّم عمر رضي الله عنه أمر الشورى، فكان له مشاورة خاصة يستشير فيها كبار العلماء من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معظم الأمور، وبخاصة ما يحتاج منها إلى معرفة بعلوم الشرع وأحكامه، فكان يستشير علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود.. وغيرهم.

وكانت له المشاورة العامة إذا احتاج إلى البتّ في أحد الأمور الخطيرة، ومن أمثلة مشاورة عمر رضي الله عنه ما رواه البخاري ومسلم: لما خرج -رضي الله عنه- إلى الشام وأخبروه - إذ كان في سرغ - أن الوباء وقع في الشام، فاستشار المهاجرين الأولين، ثم الأنصار، فاختلفا، ثم طلب من كان هنالك من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فاتفقوا على الرجوع وعدم الدخول على الوباء، فنادى عمر بالناس: إني مصبح على ظهر - أي مسافر - والظهر الراحلة، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرار من قدر الله؟! فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان - أي جانبان، فعدوة الوادي جانبه - إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ ثم جاء عبد الرحمن بن عوف فأخبره بالحديث الموافق لرأي شيوخ قريش.

وكان الطاعون قد تفشى في عمواس، وهي قرية قريبة من القدس عام ٦٣٩م، واجتاح كل فلسطين وأدى إلى وفاة نحو خمسة وعشرين ألفًا بينهم أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان.

ب- كيف تتم الشورى:

لم يحدد الإسلام طريقة معينة للشورى لا يصح سواها، وإنما ترك ذلك للمسلمين أنفسهم يختارون

لا تترك شريعة الإسلام أي سلوك من سلوك الإنسان إلا وتبين له الحكم الشرعي فيه، فأحكام الإسلام صالحة صلاحية كاملة لتنظيم دنيا الناس في كافة مناحيها: السياسية والاقتصادية، والاجتماعية وغير ذلك من ألوان النشاط الإنساني إلى أن تنتهي الدنيا

Upload by: altawhedmag.com

ما يتناسب مع ظروفهم وعصرهم؛ لأن شريعة الإسلام هي الشريعة التي ختمت سائر الشرائع التي أنزلها الله تبارك وتعالى لهداية البشر.

وعلى هذا فلا تترك شريعة الإسلام أي سلوك من سلوك الإنسان إلا وتبين له الحكم الشرعي فيه، فأحكام الإسلام صالحة صلاحية كاملة لتنظيم دنيا الناس في كافة مناحيها: السياسية والاقتصادية، والاجتماعية وغير ذلك من ألوان النشاط الإنساني إلى أن تنتهي الدنيا، ولهذا فإن أية مسألة تَجِدُّ في دنيا الناس لا بد أن يكون لها حكم في شريعة الإسلام، إما بالنص عليها نصًا خاصًا في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، وإما بالقياس على مسألة منصوص عليها في هذين المصدرين، وإما دخولاً تحت قاعدة عامة من القواعد التي بينتها شريعة الإسلام.

فالإسلام بوصفه دينًا إلهيًا هو الأكمل والأسمى دائمًا في تنظيم حياة المجتمعات البشرية في سائر المجالات، ولا نكون مؤمنين بالإسلام حتى يكون ذلك مستقرًا في يقيننا لا يعتريه أدنى شك، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

والشورى في الإسلام تجري في شئون الدولة المختلفة، وفي الأمور الشرعية الاجتهادية التي لا نص فيها، كما يقول الفقهاء: الاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها.

ولكن كيف تتم المشاورة؟

هل يجب على رئيس الدولة أن يشاور الأمة كلها أو طائفة منها، أو أفرادًا منها؟

المستفاد من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه في الشورى، أنه كان يشاور جمهور المسلمين في الأمور التي تهمهم مباشرة: «أشيروا عليَّ».. واستشار عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ وسعد بن عبادة - كما سبق - وهذه الصورة وغيرها تدل على أن أهل الشورى تارة يكونون جمهور الأمة، وطورًا يكونون جميع المسلمين الموجودين وقت المشاورة، ويتعلق بهم موضوع المشاورة، وأحيانًا يكون أهل الشورى المتبوعين في قومهم، وأحيانًا أخرى يكون أهل الشورى بعض المسلمين من ذوي الرأي، ولذلك لجأ أبو بكر رضي الله عنه إلى اختيار جماعة الشورى، التي يستعين بها في البتّ في الأمور المهمة، فلم يكن على أبي بكر إذا حزب المسلمين أمرٌ إلا أن يدعو كبار الصحابة ورؤساء القبائل والبطون، فيجمع لديه مجلسًا للشورى يعرض عليه ما يريد من أمور.

وقد ظلت هذه الصورة البسيطة كما هي طوال مدة رياسة الخلفاء الراشدين، فلم يجدوا الحاجة ماسة إلى تغيير هذا الشكل لمجالس شوراهم.

والسؤال الآن: ما هي الوسيلة التي تحقق هذا المبدأ الذي دعا إليه الإسلام؟ هل تكون بتكوين مجلس للشورى نتيجة انتخاب عام يشترك فيه كل البالغين العقلاء من أفراد الدولة؟

أم يكون تكوين مجلس الشورى بتعيين من رئيس الدولة، يعين أفراده من كافة التخصصات المختلفة، مراعيًا مصلحة الدولة في هذا الاختيار، فلا يختار الأعضاء فيه لقرابة، أو صداقة، أو مصلحة شخصية، أو منافع دنيوية، بل يكون الاختيار مبنيًا على الكفاءة في التخصص المطلوب، أم يكون مجلس الشورى خليطًا بين الانتخاب والتعيين، فيكون الأصل هو الانتخاب، ومن حق رئيس الدولة أن يعين من يراه كفؤًا لشغل مكان في هذا المجلس في حدود نسبة يحددها الدستور.

أم أنه يصح ألا يشكل مجلس للشورى، وعلى رئيس الدولة أن يستشير أهل التخصص في الأمور المهمة للدولة؟

هذه الصور وغيرها، الصالح منها للدولة عليها أن تجمع الأمر عليه، وإن كنت أرى أن مجلس الشورى يمكن أن يتم باختيار رئيس الدولة، فيختار أعضاءه بناءً على استفاضة أخبار فضلهم، وتقدمهم على من عداهم في النواحي التي سيتشاورون فيها، على أن يلاحظ استعدادهم للغرض الذي سيختارون له.

فإن كان الغرض استشارتهم في الأحكام، فيشترط فيهم أن يكونوا متصفين بالعلم والتدين، ورجاحة العقل.

وإن كان الغرض هو استشارتهم في أمور الدنيا كالسياسة والاقتصاد، والحرب.. إلخ.

فيشترط فيهم التخصص المطلوب، ورجاحة العقل، ورحابة الأفق، وأن يكونوا ممن يمكنهم إعطاء الحل الأمثل لأي مشكلة من المشكلات.

ويشترط في الكل زيادة على ما تقدم صدق النية والنصيحة لله ولرسوله ولجماعة المسلمين، والقوة والأمانة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

وللحديث بقية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

مسابقة السنة

تعلن إدارة المعاهد وشئون التعليم عن إقامة المسابقة الكبرى في السنة النبوية للسنة الخامسة وذلك على النحو التالي:

أولاً: مستويات المسابقة

الأول: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول كتاب البيوع إلى أول كتاب الحدود.

الثاني: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول كتاب البيوع إلى كتاب الطلاق.

الثالث: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول كتاب البيوع إلى أول باب الكفاءة والخيار.

الرابع: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول كتاب البيوع إلى أول باب الإقرار.

مع ملاحظة أن الأحاديث تُحفظ نصوصها مضبوطة بالشكل، ومعها معرفة معاني المفردات، وما يُستفاد من الأحكام، مع معرفة الصحابي راوي الحديث، والكتاب والباب اللذين ورد فيهما الحديث، ومعرفة من خرّج الحديث من أصحاب الكتب.

ثانيًا: مواعيد إجراء المسابقة

يوم السبت	١٤٣٢/١١/٣هـ	٢٠١١/١٠/١م	اختيار المستوى الأول
يوم الأحد	١٤٣٢/١١/٤هـ	٢٠١١/١٠/٢م	اختبار المستوى الثاني
يوم الاثنين	١٤٣٢/١١/٥هـ	٢٠١١/١٠/٣م	اختبار المستوى الثالث
يوم الثلاثاء	١٤٣٢/١١/٦هـ	٢٠١١/١٠/٤م	اختبار المستوى الرابع

ثالثًا: جوائز المسابقة

الجائزة / المستوى	الأول	الثاني	الثالث	الرابع - العاشر	الحادي عشر - العشرين
المستوى الأول	٣٠٠٠ جنيه	٢٥٠٠ جنيه	٢٠٠٠ جنيه	١٢٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه
المستوى الثاني	٢٠٠٠ جنيه	١٧٠٠ جنيه	١٥٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه
المستوى الثالث	١٥٠٠ جنيه	١٠٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه
المستوى الرابع	١٠٠٠ جنيه	٧٠٠ جنيه	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه

ويتم تسجيل الأسماء بالدور السابع - بالمركز العام - لدى أ/ محمد مسعد، وفرع بلبيس.

مع تمنيات إدارة الدعوة والإعلام ، وأسرة مجلة التوحيد بالتوفيق والنجاح.

Upload by: altawhedmag.com

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

Upload by: altawhedmag.com